الشيخ كمال معاش

عليها السلام

فاطمة

بين النبوة والإمامة

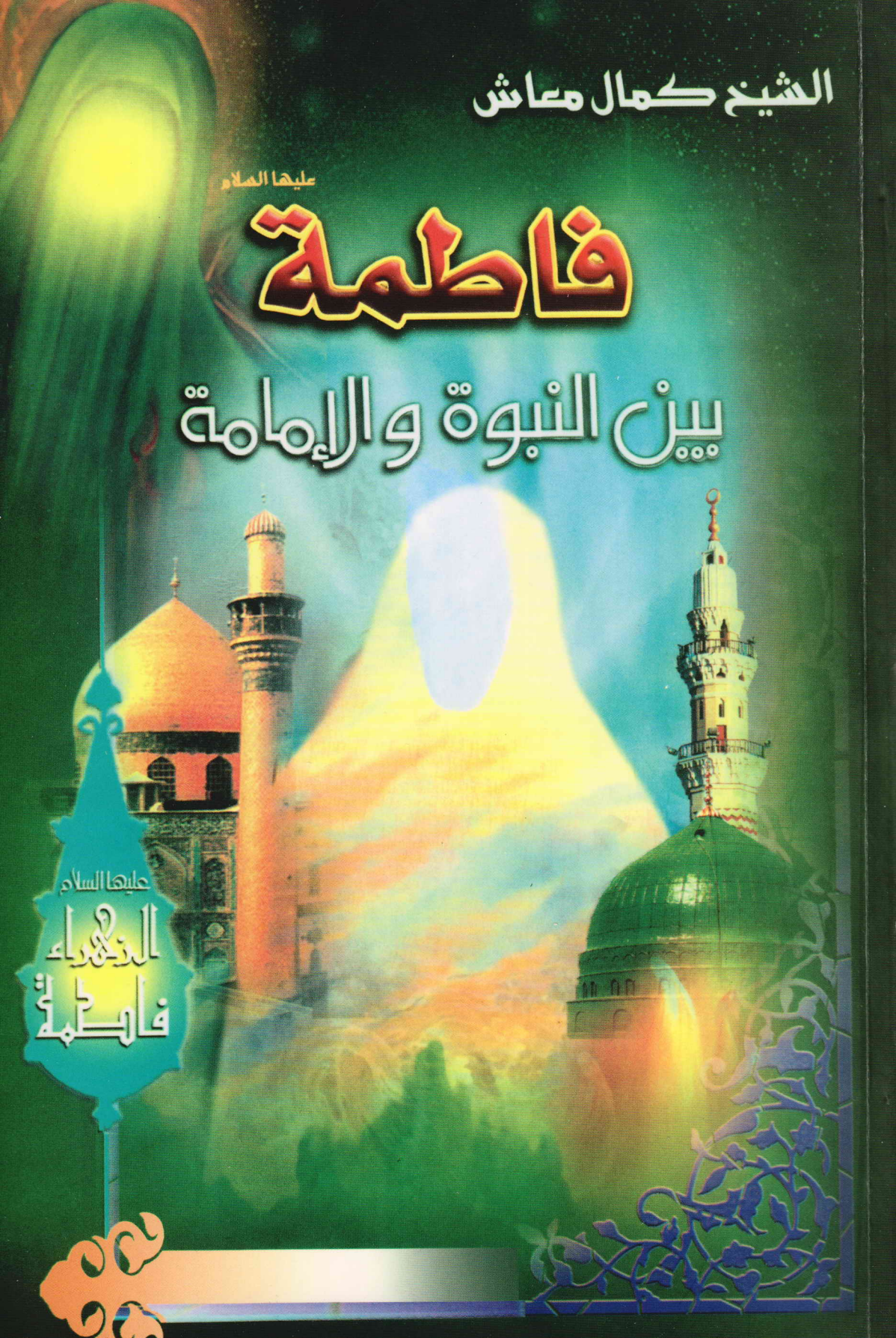

عليها السلام

الزهراء فاطمة

فاطمة عليها السلام

بين النبوّة والإمامة

الشيخ كمال معاش

المرحوم/ عبد العزيز نادر الخضري
Abdulaziz Nader Al-Kodari

مؤسسة
التبليغ العالمية

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان

فاطمة عليها السلام

بين النبوة والإمامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

الإهداء

إلى مهجة قلب الرسول ﷺ . .

إلى حبيبة المصطفى وسر الرسول ﷺ . .

إلى سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين . .

إلى الصديقة الكبرى، التي دارت عليها القرون الأولى .

إلى من وقف لها رسول الله ﷺ إجلالاً وتعظيماً . .

إلى من قال لها رسول الله ﷺ فداها أبوها -ثلاث مرات- . .

إلى من قال لها النبي ﷺ مرحباً بابنتي فاطمة -مرتين-[1] . .

إلى من قال لها النبي ﷺ هي أحب إليَّ . .

إلى من قال لها النبي ﷺ فداك أبي وأمي[2] . .

أهدي هذا الجهد المتواضع، إلى سيدتي ومولاتي، فاطمة الزهراء عليها السلام راجياً من الله شفاعتها، يوم الخوف الأكبر، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى بقلب سليم . .

فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً . .

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٥٦ ح٢٤٥٠ .

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج١ ص٤٨٩ ج٣ ص١٥٦، فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٥٣ .

المقدمة

فاطمة وما أدراك مَنْ فاطمة؟ يعجزُ عن وصف مآثرها البيان، ويحار فيها الجنان، فالحديث عن فاطمة عليها السلام حديث ذو شجون[1]، فهي بضعة النبي صلى الله عليه وآله ولا ريب، وزوجة الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام[2] وأم السبطين الطاهرين الحسن والحسين عليهما السلام وهما سيدا شباب أهل الجنة[3]. إن عظمة فاطمة تجلت في أنها محور النبوة والإمامة والنسيج الممتد بينهما، بل هي قطب رحا الكون كما ورد في الحديث عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: هي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى[4].

إن مظاهر عظمة السيدة فاطمة عليها السلام الجليلة وإنسانيتها الفياضة، والبعد المأساوي الكبير في مظلوميتها، جعلها تشكل مدرسة إلهية وسماوية كبرى، بل أبعد من هذا هي حجة الله على الخلق. فإن الحديث عنها عليها السلام يمثل حديثاً عن

---

(١) ذو شجون: أي ذو شعب وامتساك بعضه في بعض، بمعنى مشتبكة العروق، والشجنة عروق الشجر المشتبكة، لسان العرب ح١٣ ص٢٣٣، شجن.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٦٢ -٦٣ وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» لما نزلت الآية الكريمة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

(٣) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٥٦ ح٣٧٦٨، الحسين ريحانة النبي: ص٩٥ للمؤلف ذكر مصادر الحديث.

(٤) من فقه الزهراء عليها السلام: ج١ ص١٠.

السماء، لأنها من أنوار الله في السماوات والأرضين، والناطقة عن لسان أبيها رسول الله ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وقد قطعتُ عهداً لسيدتي الزهراء عليها السلام أن أحاول أن استلهم هذا السفر الخالد ببحث متواضع لا يرق إلى مصاف هذه المنزلة الرفيعة، أوضح فيه مكنونات العظمة الإنسانية في شخصيتها، والمظلومية التي لحقت بها. أقدمه جهداً خالصاً لوجه الله تعالى دون قصد في المساس بأحد من الصحابة أو الطعن فيه. لكن لجلاء وجه الحقيقة الذي علته العتمة، وتغيب عن أعين المسلمين أربعة عشر قرناً. وأهدف من وراءه الدعوة للحوار الصادق والتفاهم على أسس منطقية سليمة ترمي إلى حلّ التناقضات التاريخية والعقائدية والفقهية التي يعيشها المسلمون، سيما وأن الكثير من كتب التاريخ والحديث تعج بمثل هذه التناقضات والموضوعات حتى وصلت إلى كتب صحاح المسلمين. وتجدر الإشارة إلى محاولة الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال، والرازي في كتابه (الجرح والتعديل) في كشف الأحاديث المختلفة، وبيان الصالح عن الطالح، وتميز الحق عن الباطل.

إن الهدف من وراء البحث، هو إزالة الغبار عن أذهان المسلمين، الذي علق بها نتيجة الحوادث التي وقعت بعد رحيل النبي ﷺ وما تحمل من إساءة كبيرة إلى الرسالة النبوية وشخص الرسول ﷺ. والتاريخ له شواهده العملية والصادقة في إيضاح شكل المؤامرات المخزية التي تبغي هدم معطيات الدين وتكذيب القرآن الكريم، في الوقت الذي كان النبي ﷺ مسجى على فراش الموت لم يدفن بعد، وأولى هذه المؤامرات، قيام عمر بن الخطاب أثناء وفاة النبي ﷺ حيث خطب في الناس قائلاً: «إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن

رسول الله قد توفي، وإن رسول الله، والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات»[1].

وإن عمر كان يقول: لم يمت، وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك[2]، فصار ما أن يلاقي أحداً يقول يموت رسول الله، إلا توعده، إلى أن وصل إليهم أبو بكر حيث كان في منزله بالسُّنْح فخطب في الناس قائلاً: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت ثم تلا الآية الكريمة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[3].

فقال بعضهم: «فو الله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ، وقال عمر: لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض وعلمت أن رسول الله قد مات».

إن تكذيب عمر موت رسول الله ﷺ كان يرمي تأخير الأمور، حتى حضور أبي بكر الذي وصل إليهم من منزله، حتى نزل على باب المسجد، حين بلغه خبر وفاة النبي ﷺ وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء، حتى دخل على رسول الله ﷺ فألفاه قد فارق الحياة، عندها خرج إلى الناس، وأمر صاحبه بالسكوت.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وقال كلمته المشهورة: «من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات»[1].

وهنا يكمن جوهر المؤامرة الثانية، من خلال العقلية الصنمية، التي يتمتع بها أبو بكر، والتي أعطت تصوراً للناس، بأن محمداً ﷺ كان صنماً ناطقاً، وهذا يدل على ضعف إيمان أبي بكر بنبوة محمد ﷺ ورسالته.

إن ارتداد الصحابة، ليس أمراً من مختلقات الشيعة، فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾[2] وذكر البخاري أن النبي ﷺ قال: «يرد على الحوض رجال من أصحابي، فيمنعون عنه: فأقول يا ربي أصحابي؟ فيقول: انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[3].

إن هذه الحقائق وغيرها، من مظاهر المروق عن الدين، استطاع أصحابها أن يغطوها عن أعين المسلمين، واستمر الترويج لها من قبل كتاب التاريخ الرسمي، وشاطرتهم وسائل الإعلام المعاصرة في نهج الإخفاء، رغم كل تمدن العصر وعصرنة الثقافة، ويبقى التسويق المزيف للتاريخ، من ضمن قنواتهم الفضائية، فلا ضير عندهم نقل وقائع التاريخ بزيف، وتبادل الحديث المختلق بكل جرأة وتحدي، ناهيك عما يتردد على منابر المسلمين، من أحاديث حول الإسلام، مليئة بالاختلاقات الموضوعة، ووقائع تاريخية لا صحة لها، جرى توارثها جيلاً

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٢، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٩ حوادث سنة ١١، شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٤٠ حديث السقيفة.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٣) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٧ ج٦٢١٤ باب في الحوض، وص٢٤٠٦ ح٦٢١١ وص٢٤٠٧ ح٦٢١٥.

بعد جيل، من منبعها الأول، وجمهور المسلمين يستمع إليها بإذن صاغية وطيبة بالغة، وأئمة المساجد لا يرعوون بنقل أحاديث لا أخلاقية عن رسول الله ﷺ راكنين مرجعيتهم بذلك إلى كتب الصحاح، بسند إلى كعب الأحبار، ذلك اليهودي الذي لبس عباءة الإسلام وتلفع بها، وإلى أبي هريرة الوضاع الشهير في أحاديث النبي ﷺ والنبي ﷺ بريء منها، وقد تنبه عمر بن الخطاب لسلوكية أبي هريرة في الدس في الحديث النبوي الشريف، فأوجعه ضرباً، ونهاه عن الحديث.

قال أبو جعفر: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الرواية، ضربه عمر بالدرَّة وقال: قد أكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.

وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: «ألا إن أكذب الناس - أو قال: أكذب الأحياء - على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدّوْسيّ»[1].

وسوف نتطرق إلى الأحاديث التي تسيء إلى رسول الله ﷺ الواردة في صحيح البخاري ومسلم وبقية كتب الصحاح، هذه الكتب التي توازي بأهميتها لديهم، أهمية القرآن الكريم، على الرغم من احتوائها فيضا من الأحاديث المخالفة له. ونلاحظ التعصب الشديد لها، عند الكثير من المسلمين، فلو حاججت أحدهم بآية من القرآن الكريم، لا يتقبلها منك ويرد عليك بحديث موضوع للبخاري. كان مصدره شيخ الوضاعين أبا هريرة، ذلك الرجل الذي من سيرته اللعب مع القطط والهررة. لذا سمي بأبي هريرة، وأصبح أميراً

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٤ ص٦٧.

للأحاديث عند المسلمين.

وحسبنا أنه كان يقول في مشيه (الطريق.. الطريق.. قد جاء الأمير)، فقد روي أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق، وكان يخطب وهو أمير المدينة، فيقول: «الحمد لله الذي جعل الدين قياماً، وأبا هريرة إماماً؛ يُضحك الناس بذلك». وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق، فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه، ضرب برجليه الأرض، ويقول: «الطريق الطريق! قد جاء الأمير» - يعني نفسه -[1].

بينما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من الجور قول الراكب للماشي: الطريق الطريق..»[2].

التاريخ الذي تضعه الحكومات، يفرز لنا رموزاً واهية، وأبطالاً لا بطولة لها، وعلماء لا علم لهم، ووعاظاً للسلاطين، يشترون رضاء حاكمهم حتى ولو بالدّس على رسالات الله وأحاديث نبيه صلى الله عليه وآله وجمهرة المسلمين ضحية كل هذا - نسئل الله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم، الذي نكرره في صلاتنا عشر مرات كل يوم، ألا وهو ولاية آل بيت النبي (عليه وعليهم افضل الصلوات والسلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

٢٨/ رمضان/ ١٤٢٣هـ

سوريا - بجوار السيدة زينب عليها السلام

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٤ ص٦٩ وفيه: قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب (المعارف) في ترجمة أبي هريرة - فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة-.

(٢) روضة الواعظين: ج٢ ص٤٦٦ - مجلس في ذكر وبال الظلم -.

شخصية فاطمة عليها السلام

إن البحث في شخصية فاطمة، يستخلص الباحث منها جملة محطات للعظمة والرفعة، ينتفي وجودها في أي امرأة أخرى، فقد كانت لها شرف النبوة لسيد الخلق محمد ﷺ . . والاقتران بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام زوجة وخليلة وشريكة للحياة، وأم لسيدي شباب أهل الجنة، وريحانتي الرسول الحسن والحسين عليهما السلام، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وكانت نموذجاً صادقاً ومثلاً رائعاً للمرأة المسلمة التي حياها الله بفضله، وكانت سيرتها عليها السلام قد أعادت اعتبار المرأة في المجتمع، وركزت معالم كرامتها المهدورة وإنسانيتها وشخصيتها، فبرزت شجاعتها وبطولاتها في مقارعة طواغيت زمانها.

وقد تحدث رسول الله ﷺ عن مكامن هذه العظمة، حيث خاطبها ﷺ: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين»[1].

فخطت سجل المجد، وملأت صفحاته، بآيات الكفاح ومقارعة الجبابرة وامتلاك الحجة الدامغة، بتسلحها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فكيف لا تكون حجتها دامغة، وهي نفس شخصية أبيها، وكأن مشيتها هي مشية الرسول ﷺ،

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٦، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٠، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٧ ح٣٤٢١٦.

ولسانها ناطق بكلام أبيها.

وكان رسول الله ﷺ يعظم ويبجل من شأن فاطمة. مقولة رسول الله ﷺ «إنما سميت ابنتي فاطمة، لأن الله فطمها وفطم من أحبها من النار»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ: لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إن الله قد فطمها وذريتها من النار»[2] وأنها سميت بأمر من الله.

وعلى الرغم من إنه أعظم خلق الله تعالى، كان يُقبّلُ يدي فاطمة عليها السلام.

عن عائشة أنها قالت: «ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله ﷺ وكانت إذا دخلت عليه، رحّب بها، وقام إليها، فأخذ بيدها، فقبّلها، وأجلسها في مجلسه. وكانت هي إذا دخل عليها رسول الله ﷺ قامت إليه مستقبلةً، وقبّلت يده»[3].

وعن عائشة قالت: كنّ أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً. فلما رآها رحَّب بها. فقال: «مرحباً بابنتي»، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارَّها فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصّك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سرّه.

---

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص٥٨، ذخائر العقبى: ص٢٠٦، مسند فاطمة: ص١٣٩ ح١٠٩، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٩ ح٣٤٢٢٧، تاريخ بغداد: ج١٢ ص٣٢١ ح٦٧٧٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٦٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٤ وص١٦٠.

قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمتُ عليك، بما لي عليك من الحق، لما حدَّثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: أمّا الآن، فنعم. أمَّا حين سارَّني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلاّ قد اقترب. فاتقي الله واصبري، فإنه نعمَ السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: «يا فاطمة أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة»، قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت[1].

وقال رسول الله ﷺ: «فاطمة بهجة قلبي، وابناهما ثمرة فؤادي، وبعلها نور بصري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بها نجا، ومن تخلف عنها هوى»[2].

وعن عائشة: أن النبي ﷺ كان كثيراً ما يُقبِّل عرف فاطمة[3].

وعن ابن عمر، قال: إن النبي ﷺ كان إذا سافر كان آخر الناس عهداً به فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أول الناس به عهداً فاطمة عليها السلام فقال لها رسول الله ﷺ: «فداك أبي وأُمي»[4].

---

(١) فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٥٦، صفوة الصفوة: ج٢ ص١٢، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٠، سير أعلام النبلاء: ج٣ ص٤٢٦ - ١١٤، صحيح مسلم: ج٥ ص٥٦ ح٢٤٥٠.

(٢) فرائد السمطين: ج٢ ص٦٦.

(٣) مسند فاطمة: ص١٧٧ - ١٩٠، العرف: أعلى الرأس مأخوذ من عرف الديك، وهو اللحمة المستطيلة في أعلى الرأس.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ج١ ص٤٨٩، ج٣ ص١٥٦، فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٥٣.

فاطمة عليها السلام في القرآن

لقد جعل رسول الله ﷺ منزلة أهل بيته عليهم السلام عدل كتاب الله، في حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين، وهو قوله ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

فحصر النبي ﷺ وسيلة التمسك بعروة الإسلام عبر مفهومي الثقلين الواردين فيه، فإن اتباع جوهر الإسلام بضم دفتي الحديث، وليس الأخذ بواحد منهما وترك الآخر. إنما ذلك يؤدي إلى الضلالة والوقوع في حبائل الفتنة، وقد حذرنا أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: «كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب»[2].

وهذا ما حدث بعد رحيل النبي ﷺ في افتراق الأمة عن الثقلين، رغم أن النبي قال في علي عليه السلام: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[3].

---

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٦٣ ح٣٧٨٨، صحيح مسلم: ج٥ ص٢٦ ح٢٤٠٨، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٨، الصواعق المحرقة: ص١٢٦.

(٢) نهج البلاغة: من حكمه عليه السلام رقم ١.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٢٤، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٣٧، كنز العمال: ج١١ ص٦٠٣ ح٣٢٩١٢، منتخب فضائل النبي وأهل بيته عليهم السلام: ص١٤٣، الصواعق المحرقة: ص١٢٤.

وقال رسول الله ﷺ : «رحم الله علياً، اللهم أدر الحق معه حيث دار»[1]

وقوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

وورد عن ابن عباس في تفسير الآية، قال : إن محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، هم أهل الذكر والعلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة . بمعنى أن نأخذ علوم القرآن ومعانيها، من أهل بيت النبي ﷺ فلو أبعدنا أهل البيت عليهم السلام من القرآن، فتكون نتيجة كما في الحديث النبوي : «ربَّ تالٍ القرآن، والقرآن يلعنه»[3] .

عن النبي ﷺ : «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[4] .

وقال النبي ﷺ : «أكثر ما أخاف على أمتي من بعدي، رجل يتأول القرآن يضعه على غير مواضعه»[5] .

مما تبين لا يمكن الفصل بين الثقلين، فأهل البيت عليهم السلام هم حفظة الكتاب ومفسري آياته، ولا بدّ لكل تفسير للقرآن أن يمر بهم أولاً فهم المعنيون به، وأعرف بدقائقه، فالقرآن الكريم يصرح بطهارتهم دون غيرهم، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[6] .

---

(١) المستدرك على الصحيحين : ج٣ ص١٢٤ ، مجمع الزوائد : ج٩ ض١٣٧ ، كنز العمال : ج١١ ص٦٠٣ ح٣٢٩١٢، منتخب فضائل النبي وأهل بيته عليهم السلام : ص١٤٣ ، الصواعق المحرقة : ص١٢٤ .

(٢) سورة النحل : الآية ٤٣ .

(٣) بحار الأنوار : ج٨٩ ص١٨٤ ح١٩ .

(٤) منية المريد : ص١٩١ ، بحار الأنوار : ج٨٩ ص١١١ ح٢٠ .

(٥) منية المريد : ص١٩١ .

(٦) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال: «هؤلاء أهلي»[1].

فلا ينبغي لمن يفسر القرآن، تجاوز ذلك والخضوع لما تمليه عليه ظروفه السياسية وأهوائه وميوله ومصالحه الدنيوية، كما حدث لبعضهم.

وفاطمة ركن أساس في أهل البيت الذين ورد ذكرهم في الآية الكريمة أعلاه، ومن الآيات التي خصتها بالذكر، قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[2] وقصة الآية، أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من خيبر، بعث إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام، فصالحوه على نصف الأرض، فَقَبِلَ منهم ذلك وكان نصف فدك خالصاً لرسول الله ﷺ لأنه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

عن عمر قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يُوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصةً، فكان ينفق على أهله نفقة سنة[3].

وعن أبي سعيد قال لما نزلت الآية ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك عليها السلام[4].

وفي (ينابيع المودة) إن قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ خصوصية لهم،

---

(١) أسد الغابة: ج٥ ص٥٢١، تاريخ بغداد: ج٩ ص١٢٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٣) صحيح مسلم: ج٤ ص٢٦ ح١٧٥٧، صحيح البخاري: ج٣ ص١٠٦٣ ح٢٧٤٨، سنن الترمذي: ج٤ ص٢١٦ ح١٧١٩.

(٤) مجمع الزوائد: ج٧ ص٥٢.

خصّهم الله العزيز الجبار، واصطفاهم على الأمة. فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: «هذه فدك وهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذيها لك ولولدك»[1].

فكيف كان وضع الأمة بهذا الحق بعد رحيل نبيهم ﷺ إلى ربه؟ اغتصبوه جهاراً منها، رغم كل ما يعني من مخالفة لكتاب الله والنبي ﷺ وفدك نحلة نحلها رسول الله ﷺ في حياته، لابنته فاطمة، فاغتصبوها، كما الخلافة، وهي خالصة لعلي عليه السلام بنص غير خاف من النبي ﷺ عن الله تعالى، وكتب الحديث والتفسير والتاريخ غنية بشواهد الاستلاب الكبير لحق فاطمة عليها السلام في نحلتها وميراثها، ومنها قول فاطمة عليها السلام لأبي بكر: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[2] وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾[3] وقال: ﴿ وَأُوْلُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[4] وقال ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[5]»[6].

فإذا تأملت الأمر بذهنية صافية منزوعة عنك حُجب العصبية والقبلية والجهالة،

---

(١) ينابيع المودة: ج١ ص١٣٨.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

(٣) سورة مريم: الآيتان ٥-٦.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٥) سورة النساء: الآية ١١.

(٦) الاحتجاج: ص١٠٢.

لانكشفت لك الحقيقة بأكملها، وأنصفت الحق لو فتحت قلبك للتفقه والتعقل والتبصر لقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾[3].

وعن الصادق عليه السلام قال: «لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»[4] عند ذلك تحصل الهداية الربانية لأيّ أمر توجه لله تعالى بنيّة خالصة في علمه وعمله.

وأجمع أهل التفسير والحديث والتاريخ وجمهور المسلمين، في صحاحهم ومسانيدهم بحد التواتر، أن المقصود من كلمة أهل البيت في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[5] هم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين، فكلمة أهل البيت مفردة من عرف القرآن الكريم، محصورة المعنى بهؤلاء الخمسة دون غيرهم، ولا تشمل مطلق أقاربه فضلاً عن زوجاته.

وقد دلت عليه الأحاديث الشريفة بما لا غبار عليه منها: عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا».

فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «إنك إلى خير» قال هذا

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٧.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩٨.

(٤) الأصول في الكافي: ج١ ص٣١ ح٨.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب[1].

وابتدأت الآية بـ(إنما) المفيدة لحصر إرادته تعالى على إذهاب الرجس، الذي هو الإثم عنهم، وكذلك أي خُلق مذموم.

وعن أبي سعيد الخدري أنها - أي الآية - نزلت في خمسة، النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين[2].

وفي رواية: قال بعد تطهيرا: «أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم».

وفي أخرى: ألقى عليهم كساءاً، ووضع يده عليهم، ثم قال: «اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد».

فجعل لهم الخلافة على الناس، ولكنها حين ذهبت عنهم بشكلها الظاهري وتداولها الناس ملكاً، منحهم الله الخلافة الباطنة، حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن، لا يكون إلا منهم[3].

وآية المباهلة، في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم: ج٤ ص١٨٨٣ ح٢٤٢٤، سنن الترمذي: ج٥ ص٦٩٩ ح٣٨٧١، ص٣٥١ ح٣٢٠٥، المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٤٥١ ح٣٥٥٩ وص١٥٩ ح٤٧٠٦، بغية الطالب: ح٦ ص٢٥٨٠، سير أعلام النبلاء: ج٤ ص٣٨٤، المعجم الصغير: ج١ ص١٧٦ ح١٧٧، ذخائر العقبى: ج١ ص٢١-٢٥، الإتحاف بحب الأشراف: ص١٨، الصواعق المحرقة: ص١٤٣.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٤٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ص١٤٣ - ١٤٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦١.

وردت فيها كلمة نساءنا، التي أجمع المفسرون على حصر دلالتها بفاطمة دون غيرها، حتى وإن كن أزواج النبي ﷺ فلو كن أهل بيته ونساءه لأخرجهن معه إلى المباهلة. ووردت الكلمة على صيغة الجمع (نساءنا) لتدل على التعظيم، وهذه صيغة استخدمت في القرآن كثيراً، كما في الآية الكريمة﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

إن الخروج بعلي وفاطمة والحسن والحسين، إلى المباهلة من قبل النبي ﷺ لا يدلل سوى أنهم خاصته وأهل بيته دون سواهم من أقارب وصحابة وغير ذلك، ولو كان الأمر كما يدعي البعض لأشارت الآية إلى أصحابنا وأصحابكم... والدليل على قولنا، ما ذُكر عن أبي سعيد الخدري أنه قال: لما نزلت هذه الآية، دعا رسول الله هؤلاء الأربعة، علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[2].

وذكر الزمخشري في تفسيره: لا دليل أقوى من هذا، على فضل أصحاب الكساء، وهم علي وفاطمة والحسنان، لأنها لما نزلت، دعاهم النبي ﷺ فاحتضن الحسن، وأخذ بيد الحسين، ومشت فاطمة خلفه، وعلي خلفهما، وذلك في ذهابه إلى المباهلة، فعلم أنهم المراد في الآية[3].

وروي: أنهم لما دعاهم إلى المباهلة. قالوا: حتى نرجع وننظر؛ فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٤ ح٢٤٠٤ باب فضائل علي بن أبي طالب، سنن الترمذي: ج٥ ص٦٣٨ ح٣٧٢٤، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٠ مناقب أهل بيت رسول الله ﷺ تفسير الكشاف: ج١ ص٤٣٤، ذخائر العقبى: ص٢٥.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ص١٨.

معشر النصارى، أن محمداً نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لتهلكن، فإن أبيتم إلا الف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا. فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً، لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القسم رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرّك على دينك ونثبت على ديننا.

قال: فإذا أبيتم المباهلة، فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا.

قال: فإني أناجزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلة، ألف في صفر وألف في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد. فصالحهم على ذلك. وقال ﷺ: والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلّ على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا»[1].

وقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

(١) تفسير الكشاف: ج١ ص٤٣٤.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[1].

نقلت بعض التفاسير في ذكر هذه الآية الكريمة أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي أنا وأنت من نور واحد، فانقسم النور إلى جزئين؛ جزء في عبد الله والد النبي ﷺ وجزء في أبي طالب والد علي عليه السلام ثم التقيا النورين، وكانت فاطمة بحر النبوة وعلي بحر الإمامة، فالتقيا في زواجهما، فذكرت الآية ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ هو رسول الله ﷺ و﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

وأشار إلى ذلك الحافظ جلال الدين السيوطي في تفسيره: عن ابن عباس في قوله: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ قال: علي وفاطمة ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ قال النبي ﷺ ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ قال: الحسن والحسين[2].

وعن أبي سعيد الخدري وابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم عن جعفر الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قالوا: «علي وفاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه، وبينهما برزخ هو رسول الله ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان هما الحسن والحسين (رضي الله عنهم)»[3].

وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾[4]

---

(١) سورة الرحمن: الآيات ١٩ - ٢٢.

(٢) تفسير الدر المنثور: ج٦ ص١٤٢.

(٣) ينابيع المودة: ج١ ص٣٥٤ باب ٣٩.

(٤) سورة النور: الآية ٣٥.

عن أبي الحسن عليه السلام قال: كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة قال: المشكاة فاطمة والمصباح الحسن والحسين. والزجاجة كأنها كوكب دري، قال: كانت فاطمة كوكباً دريّاً بين نساء العالمين[1].

لقد منحها الله فضلها ليس لأحد ومنزلة فوق كل منزلة، تستحق منا الإجلال والتعظيم والتقديس وليس العكس، فالقرآن يوصينا ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

عن عبد الرحمن بن عوف، قال: خذوا عني قبل أن تشاب الأحاديث بالأباطيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة»[4].

وروى الحاكم الحسكاني بسنده، سُئل أبو جعفر محمد بن علي عن الآية قال: الشجرة محمد، والفرع علي أمير المؤمنين، والثمر الحسن والحسين، والغصن فاطمة[5].

---

(١) رشفة الصادي: ص٢٨ نقلاً عن كتاب فاطمة الزهراء عليها السلام في القرآن ص١٦٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٥.

(٣) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤-٢٥.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٦٠.

(٥) شواهد التنزيل: ١/ ٣١١ نقلاً عن كتاب فاطمة الزهراء عليها السلام في القرآن ص١١٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1].

عن كعب بن عجرة: قال لما نزلت الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. وإجابتهم دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية، لأن القصد من الصلاة عليه، مزيد تعظيمه، ومنه تعظيمهم.

ويروى أن رسول الله ﷺ قال: لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال ﷺ: تقولون: «اللهم صلِّ على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[2].

وهذا الحديث متواتر؛ ونهى به رسول الله عن الصلاة البتراء، إلا أن أئمة المساجد لازالوا يرددونها رغم النهي عنها، لأن هذا من مخلفات العداء لآل البيت عليهم السلام وموروث للمحاولات التاريخية اليائسة، لمحو ذكرهم وطمس معالمهم، ولكن هيهات.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٤٦ وص٢٣٣.

المودّة في القربى

لما بعث الله تعالى نبيه محمد ﷺ إلى العالم، لينقذ هذه الأمة من ضلالتها وجاهليتها، التي كانت عليها طابع القساوة والغلظة والبداوة الصحراوية، بحيث كان يأكل قويهم ضعيفهم، إضافة إلى تفشي الفساد والمنكرات وسفك الدماء، إلى عالم النور والرحمة الإلهية.

وقد أشارت السيدة فاطمة عليها السلام في خطبتها للقوم:

«وكنتم على شفى حفرة من النار، مذقة الشارب[1]، ونهزة الطامع[2]، وقبسة العجلان[3]، وموطئ الأقدام[4]، تشربون الطرق[5]، وتقتاتون القد[6]، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا واللتي»[7].

---

(١) مذقة الشارب: شربته.

(٢) نهزة الطامع - بالضم -: الفرصة أي محل نهزته، أي كنتم قليلين أذلاّء يتخطفكم الناس بسهولة.

(٣) قبسة العجلان: مثل في الاستعجال، أي شعلة من نار يقتبس من معظمها، والإضافة إلى العجلان لبيان القلة والحقارة.

(٤) مواطئ الأقدام: مثل مشهور المغلوبية والمذلة.

(٥) الطرق - بالفتح -: ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر.

(٦) القد - بكسر القاف وتشديد الدال -: سير يقد من جلد غير مدبوغ، والمقصود وصفهم بخباثة المشرب وجشوبة المأكل لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم ولفقرهم.

(٧) الاحتجاج: ص١٠٠ احتجاج فاطمة عليها السلام على القوم.

قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: ألم تكونوا ضلاّلاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال ﷺ: أفلا تجيبوني. قالوا: ما نقول يا رسول الله؟

قال ﷺ: ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك، أولم يكذبوك فصدقناك، أولم يخذلوك فنصرناك»[1].

عن ابن عباس قال: إن النبي ﷺ لما قدم المدينة، كانت تعروه نوائب وحقوق وليس في يده سعة. فقال الأنصار: إن هذا الرجل قد هداكم الله على يده، وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا، ثم أتوه به، فرده عليهم، فنزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] فقرأها عليهم وقال: تودون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله. فقال المنافقون عند بعضهم لبعض: أيكفي محمداً أن يكون قهرنا عشرين سنة. حتى يريد أن يُحمِّل أهل بيته على رقابنا. فقالوا: ما أنزل الله هذا وما هو إلى شيء يتقوله، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا، ولئن قتل محمد أو مات لننزعنّها من أهل بيته، ثم لا نعيدها فيهم أبداً[3].

وعن ابن عباس قال: لما نزلت الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى

---

(١) تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٤، ينابيع المودة: ص٥٠ وفيه: فقال المنافقون ما حمل رسول الله ﷺ على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على مودة قرابته من بعده، إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه، فهذا بهتان عظيم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧.

﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما - ثلاث مرات - وإن الله تعالى جعل عليكم المودة في أهل بيتي، وإني سائلكم غداً عنهم»[1].

وروى صاحب (الكشاف) أنه لما نزلت هذه الآية، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي ﷺ وإذا ثبت، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أن تودوني لقرابتي منكم. والمعنى أنكم قومي وأحق من أجابني وأعطاني، فإذا قد أبيتم ذلك، فاحفظوا حق القربى، ولا تؤذوني وتهيجوا عليّ.

الثاني: لاشك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام وقال ﷺ: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها». وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك، وجب على كل الأمة مثله، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾[3] ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[4] ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5][6].

---

(١) تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، الصواعق المحرقة: ص٢٢٨ ينابيع المودة: ص٣٣١ ص٢٢٩ ص١٢٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٣) سورة النور: الآية ٦٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٦) التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٤، تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، الصواعق المحرقة: ص١٣٣.

وأخرج الدولابي إن الحسن (كرم الله وجهه) قال في خطبته: «أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم. فقال لنبينا ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت عليهم السلام»[1].

عن أسلم، أن عمر بن الخطاب دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال يا فاطمة: والله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله ﷺ منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك أحب إليّ منك[2].

عن جميع بن عمير التميمي قال: دخلت مع عمتي على عائشة، فَسُئلتْ أيُّ الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة. فقيل ومن الرجال: قالت زوجها[3].

عن ابن بريدة قال: كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة، ومن الرجال علي[4].

قال علي عليه السلام: يا رسول الله أيهما أحب إليك أنا أم فاطمة. قال ﷺ: «فاطمة أحب إليَّ منك وأنت أعزّ علي منها»[5].

---

(١) ينابيع المودة: ص٢٢٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٥، كنز العمال: ج١٣ ص٦٧٤ ح٣٧٧٢٤.

(٣) سنن الترمذي: ج٥ ص٧٠١ ح٣٨٧٤، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٤ -١٥٧، مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ص١٥٦ ح١٥٤ ورواه النسائي في فضائل علي: ج١٠٩ ص١٠٨.

(٤) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٩٨ ح٣٨٦٨، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٥ والإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣.

(٥) مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٩، مسند فاطمة الزهراء: ص١٣٨ ح١٠٧ كنز العمال: ج١٢ ص١٠٩ ح٣٤٢٢٥، تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص١٢٤ ح٨٤٩٢.

عن النعمان بن بشير قال: استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد عرفت أن علياً وفاطمة أحب إليك مني ومن أبي - مرتين أو ثلاثاً- فاستأذن أبو بكر، فأهوى إليها فقال: يا بنت فلانة لا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ [1].

وعن الحسن بن علي أن رسول الله ﷺ قال: الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا، دخل الجنة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله، إلا بمعرفة حقنا[2].

عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما، كان معي في الجنة»[3].

قال رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد، مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد، بشّره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد، يزفُّ إلى الجنة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد، فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد، جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات على السنة والجماعة. ألا ومن مات على بغض آل محمد، جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد، مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٥.

(٢) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٥.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣.

محمد، لم يشم رائحة الجنة»[1].

هذا الذي رواه صاحب الكشاف. وأنا أقول: آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل، كانوا هم الآل، ولاشك أن فاطمة وعليا والحسن والحسين أن يكونوا، هم الآل[2].

فلا زالت آية المودة ترن مسامعنا حتى صارت جزء من حياتنا فيلزم علينا التأسي بأهل بيت النبي عليهم السلام لكونهم امتداد أسوة النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

وإتباع أهل بيت النبي ﷺ منهجاً وسيرةً وسلوكاً والامتثال بأوامرهم ونواهيهم، وأن نتخلى عن أعدائهم ونتبرئ منهم. وقد ذكر فقهاء المسلمين أن من فروع الدين التبري من أعداء الله والتولي لأولياء الله لأنهما من ضروريات الدين لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

---

(١) تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٥، ينابيع المودة: ج١ ص٩١.

(٢) تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٥، ينابيع المودة: ج١ ص٩١.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

الفرقة الناجية

إن الأمم التي عاصرت أنبيائها، أبدت معارضة قوية لرسالاتهم السماوية، وكان الأنبياء عليهم السلام يواجهون قومهم بالأسس الرسالية التي تمس جوهر الضلالة، التي عليها بنت تلك الأمم اعتقادتها الخاطئة، فنرى إبراهيم عليه السلام وموقفه مع أهله وناسه وكما تبنيها آيات القرآن الكريم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [1]. ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [2] حيث كسر عليه السلام جميع الأصنام، إلا واحداً كبيراً فيرجعوا إليه ويتهموه في أمرهم. ﴿قَالُوا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [3].

وكذلك موسى عليه السلام واجه شعباً عبدوا العجل بعد إيمانهم بالله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [4] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا

---

(١) سورة الأنبياء: الآيات ٥٢-٥٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٧-٥٨.

(٣) سورة إبراهيم: الآيات ٦٢-٦٤.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٤٨.

لَهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [1] وقالوا لموسى عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [2].

وإن نبينا محمد ﷺ واجه مثلما واجه من قبله من الرسل والأنبياء، حالات الصد والمعارضة وعدم التصديق من الناس، وأنه ﷺ كان يقرأ طالع المستقبل ويسْكنه سر ما سوف يجري على أهل بيته عليهم السلام بعد رحيله، كونهم حملة رسالته من بعده، حيث كانت بوادر الانحراف عن نهجه تلوح في الأفق، بوجود المنافقين والمعارضين له ﷺ لذا نبه المسلمين وكرر ذلك مراراً إلى مكامن الخطر التي تحيق بهم، وتشتيت وحدتهم إلى فرق ومذاهب شتى.

وقد جاء في الحديث، عن أنس بن مالك قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فتذاكرنا رجلاً يصلي ويصوم ويتصدق ويزكي. فقال لنا رسول الله ﷺ: لا أعرفه، فقلنا يا رسول الله، إنه يعبد الله ويسبحه ويقدسه ويوحده، فقال رسول الله ﷺ لا أعرفه. فبينا نحن من ذكر الرجل إذا طلع علينا. فقلنا: هو ذا. فنظر إليه رسول الله ﷺ وقال لأبي بكر: خذ سيفي هذا، وامض إلى هذا الرجل، واضرب عنقه، فإنه أول من يأتيه من حزب الشيطان. فدخل أبو بكر المسجد، فرآه راكعاً. فقال: والله لا أقتله، فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتل المصلين، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رأيته يصلي. فقال رسول الله ﷺ: اجلس فلست بصاحبه، قم يا عمر وخذ سيفي من أبي بكر، وادخل المسجد، واضرب عنقه. قال عمر: فأخذت السيف من أبي بكر، ودخلت المسجد، فرأيت الرجل ساجداً، فقلت: والله لا

---

(١) سورة طه: الآية ٨٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

أقتله، فقد استأمنه من هو خير مني. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني رأيت الرجل ساجداً. فقال: يا عمر اجلس. فلست بصاحبه، قم يا علي، فإنك أنت قاتله إن وجدته، فاقتله، فإنك إن قتلته لم يقع بين أمتي اختلاف أبداً. قال علي عليه السلام فأخذت السيف، ودخلت المسجد، فلم أره، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما رأيته. فقال: يا أبا الحسن إن أمة موسى، افترقت إحدى وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإن أمة عيسى افترقت اثنين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية والباقون في النار. فقلت: يا رسول الله ومن الناجية؟ فقال: المتمسك بما أنت وأصحابك عليه. فأنزل الله في ذلك الرجل: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ..﴾[1].

وأشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى الفرقة الناجية بشكل واضح، لا يقبل التأويل والاجتهاد.

فعن أم سلمة إن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وفاطمة وعلي كساءً. ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله. قال: قفي في مكانك، إنك

---

(١) الفرقة الناجية: ج١ ص١٥، من فقه الزهراء: ج٢ ص٢١٦، دلائل الصدق: ج٣ ص٥٠ وفيه: قال ابن عباس: والله ما قتل ذلك الرجل إلا أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين إن أبا بكر وعمر لم يقبلا أمر النبي ﷺ ولم يقبلا قوله واعتذرا بأنه يصلي ويسجد ولم يعلما أن النبي ﷺ اعرف بما هو عليه منهما ولو لم يكن مستحقاً للقتل لم يأمر الله نبيه بذلك وكيف ظهر إنكار النبي ﷺ على أبي بكر بقوله لست بصاحبه وامتنع عمر من قتله ومع ذلك فإن النبي ﷺ حكم بأنه لو قتل لم يقع بين أمته اختلاف أبداً فكيف يجوز للعامي تقليد من يخالف أمر رسول الله ﷺ.

إلى خير. هذا حديث حسن صحيح وهو أحسن ما روي في هذا الباب[1].

وإن الله سبحانه وتعالى أوضح قرابة ومودة آل النبي عليهم السلام في النصوص القرآنية وروى صاحب الكشاف، أنه لما نزلت الآية بحقهم، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما، فثبت أن الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله وإذا ثبت هذا، وجب أن يكونوا مخصوصين. بمزيد التعظيم، ويدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أن تودوني لقرابتي منكم. والمعنى أنكم قومي، وأحق من إجابتي وأعطاني، فإذا قد أبيتم ذلك، فاحفظوا حق القربى، ولا تؤذوني، ولا تهيجوا عليّ.

الثاني: لا شك أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب فاطمة عليها السلام فقد قال صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها» وثبت بالنقل المتواتر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا أثبت ذلك، وجب على كل الأمة مثله. لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[5][6].

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة: مجلد٢ ص١٥٢، سنن الترمذي: ج٥ ص٦٦٣ ح٣٧٨٧، صحيح مسلم: ج٥ ص٣٧ ح٢٤٢٤، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٣) سورة النور: الآية ٦٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٦) التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٤، تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، الصواعق المحرقة: ص١٣٣.

وقال رسول الله ﷺ: «ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه. ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وعن أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[2].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا، فصاروا حزب إبليس»[3].

وعن سعيد بن جبير، قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلَّ دَمْعُهُ الحصى. فقلت يا ابن عباس: وما يوم الخميس، قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي، فتنازعوا، وما ينبغي عند نبي تنازع. وقالوا: ما شأنه أهجر، استفهموه. قال: دعوني[4].

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٥ ح٢٤٠٨، ينابيع المودة: ص٣٢، الصواعق المحرقة: ص١٤٩، كنز العمال: ج١ ص١٧٨ ح٨٩٨، سنن الدارمي: ج٢ ص٤٣١، كتاب فضائل القرآن.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٥٢، كنز العمال: ج١٢ ص٩٤ ح٣٤١٤٤ و ٣٤١٥١، تاريخ بغداد: ج١٢ ص٩١ ح٦٥٠٧، إحقاق الحق وإزهاق الباطل: ج١٣ ص٧٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٩، الصواعق المحرقة ص١٥٢، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٢ ح٣٤١٨٩، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٧.

(٤) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٤ ح١٦٣٢، باب الوقف، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٧.

وحديث أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض[1].

وعن أم سلمة أيضاً أنها كانت تقول: كان علي على الحق، من اتبعه اتبع الحق، ومن تركه ترك الحق، عهد معهود قبل يومه هذا.

وقال رسول الله ﷺ لعلي: «يا علي من فارقني فارق الله، ومن فارقك يا علي فارقني»[2].

وعن أبي ذر وسلمان، قالا: أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين[3].

وإن مئات الأحاديث في صحاح المسلمين ومسانيدهم، كلها إشارة واضحة بأن المقصود من الفرقة الناجية هم أهل بيت النبي ﷺ وكما أشار مسلم في صحيحه. عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش. إن هذا الحديث الشريف، يشير إلى أن أئمة أهل البيت عليهم السلام المنصوص عليهم من النبي ﷺ بأسمائهم، فالفرقة الناجية متمثلة، إذنْ بعلي وآله وبني هاشم وبعض الصحابة الذين وقفوا إلى صف علي عليه السلام في معاركه السياسية المتنوعة وحروبه ضد الباطل في صفين والجمل والنهروان، فكانت معارك الحق ضد الباطل المتجسد في طلحة والزبير وعائشة ومعاوية بن أبي سفيان، حامل لواء الضلالة، إلا أن مدرسة الخلافة حاولت الخروج من هذا

(١) صحيح مسلم ج٣ ص٤٥٤ ح١٦٣٢ باب الوقف، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٧.

(٢) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٣٧.

(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٠٥، اليعسوب: السيد والرئيس.

المأزق الخطير، لحفظ ماء الوجه، ببحثها عن التأويلات والتخريجات، فابتدعوا سياسة عدالة الصحابة، ليبرروا لهم تلك المواقف الباطلة، ولكن القرآن الكريم بالمرصاد يفضح لهم تلك المقاصد، سيما آية الانقلاب، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ [1] وما ورد في سورة المنافقين، دليل جلي على ارتداد قسم من صحابة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [2].

وإن منطق الفرقة الناجية يشدنا إلى الاعتصام بحبل الله، لأجل النجاة في الوحدة ونبذ التفرقة والتشتت لقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [3].

ولكن الذي نراه في الأمر، إن الأمة تفرقت وتشتت، عشية وفاة رسول الله ﷺ وتنازع القوم في سقيفة بني ساعدة، في من تكون له الخلافة، وعلى علمهم الأكيد بأحقية علي عليه السلام بها.

وقد صرح العباس عم النبي ﷺ لعلي عليه السلام في وقتها حينما كانا في الدار هو

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) سورة المنافقون: الآيتان ٢- ٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

وعلي قائلاً: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ﷺ فلا يختلف عليك اثنان.

فقال له علي عليه السلام: أو يطمع يا عم فيها غيري؟.

قال: ستعلم. فلم يلبثا إن جاءتهما الأخبار، بأن الأنصار تعد العدة لمبايعة سعد، وعمر جاء بأبي بكر ليبايعه[1].

وأخرجت الأنصار سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة ليولوه الأمر، وكان مريضاً. فقال: يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لأحد من العرب، إن محمداً من لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به إلا قليل.. استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دونهم فأجابوا جميعهم: إن أصبت ونحن نوليك هذا الأمر وإن أبى المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون الأولون وعشيرته وأولياؤه فقالت طائفة منهم: فأنا نقول منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبداً فقال سعد: هذا أول الوهن.

فلما سمع عمر الخبر، فأتى منزل النبي ﷺ وأبو بكر فيه فأرسل إليه أن أخرج إليّ فأرسل إليه إني مشتغل فقال عمر: قد حدث أمر لابد من حضوره فخرج فاعلمه الخبر فمضيا مسرعين إلى السقيفة ومعهما أبو عبيدة وتركوا رسول الله مسجى في فراش الموت لم يجهز بعد، مهرولين إلى الدنيا وحطامها.

قال عمر فأتيناهم وقد كنت زوَّيْتُ كلاماً أقوله لهم فلما دنوت أقول اسكتني أبو بكر فقال أبو بكر: وأنتم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم فنحن الأمراء وانتم الوزراء.

---

(١) شرح النهج: ج١ ص١٦٠.

فلما قضى أبو بكر كلامه، قام منهم رجل فقال: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير، وارتفعت الأصوات واللغط، فلما خفت الاختلاف. قلت لأبي بكر أبسط يدك أبايعك. فبسط يده، فبايعته وبايعه الناس، ثم نزونا على سعد بن عبادة. فقال قائلهم: قتلتم سعداً فقال عمر: قتل الله سعداً، وأنا ما وجدنا أمراً هو أقوى من بيعة أبي بكر خشيت إن فارقت القوم، ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فأما أن نتابعهم على ما لا نرضى به، وإما أن نخالفهم فيكون فساداً[1].

وبعد سيل من الصراعات والمنازعات بين المسلمين، تمت البيعة لأبي بكر بالقوة والقهر والسيف والقتل، وفيها أروقة السقيفة التي كان من بركاتها إن تفرقت وتشتت الأمة إلى مذاهب ومدارس وفرق.

وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك في حديث الفرقة الناجية، وتخلف علي عليه السلام وبنو هاشم والزبير وبعض الصحابة عنها، حيث بقي علي وبنو هاشم والزبير أشهراً لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة عليها السلام[2].

وعن الشعبي قال: سأل أبو بكر فقال أين الزبير؟ فقيل عند علي وقد تقلد سيفه. فقال: قم يا عمر قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتياني بهما، فانطلقا. فدخل عمر، وقام خالد على باب البيت من خارج. فقال عمر للزبير: ما هذا السيف. فقال نبايع علياً، فاخترطه عمر فضرب به حجر فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه، وقال: يا خالد دونكه فأمسكه، ثم قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر، فتلكأ واحتبس، فأخذ بيده وقال: قم فأبى أن يقوم، فحمله

---

(١) الطبري: ج٢ ص٤٥٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٠-١٥.

ودفعه كما دفع الزبير، فأخرجه. ورأت فاطمة ما صنع بهما. فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله[1].

ولما رفضوا البيعة لأبي بكر وصل الأمر إلى إحراق بيت فاطمة عليها السلام.

عن سلمة بن عبد الرحمن، قال: لما جلس أبو بكر على المنبر، كان علي عليه السلام والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة. فجاء عمر إليهم فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم فخرج الزبير مصلتاً سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار.. فبدر السيف فصاح به أبو بكر وهو على المنبر: اضرب به الحجر، فدق به[2].

قال أبو بكر: وقد روي في رواية أخرى، أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام والمقداد بن الأسود أيضاً، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت. فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح[3].

وأخرجوا علياً وجعل في عنقه حبلاً يُقاد به وهو يُعتَل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان، وإن علياً لما أحضر سألوه البيعة، فامتنع. فتُهدِّد بالقتل. فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله. فقالوا: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا..[4]

وإن من الدليل على عدم شرعية خلافة أبي بكر قوله: إن بيعتي كانت فلتة

---

(١) شرح النهج: ج٢ ص٥٧.

(٢) شرح النهج: ج٢ ص٥٦.

(٣) شرح النهج: ج٢ ص٥٦.

(٤) شرح النهج: ج٢ ص٦٠.

وقى الله شرّها، وخشيت الفتنة، وأيمُ الله ما حرصت عليها يوماً قط، ولقد قُلِّدت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يدان، ولوَددْتُ أن أقوى الناس عليه مكاني. وجعل يعتذر إليهم[1].

وكذلك في قوله: فأما الثلاث التي فعلتها وددت أني لم أكن كشفتُ عن بيت فاطمة، وتركتهُ، ولو أُغلق على حرب، وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحدَ الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أني إذ أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته، وكنت قتلته بالحديد أو أطلقته[2].

وأما الثلاث اللواتي وددت أني كنت سألت رسول الله ﷺ عنهن: فوددت أني سألته فيمن هذا الأمر، فكنا لا ننازعه أهله، ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب، وددت أني سألته عن ميراث العمة وابنة الأخت، فإن في نفسي منهما حاجة[3].

أن تكذيب عمر أخوة علي عليه السلام لرسول الله ﷺ الثابتة في كتب المسلمين، لدليل واضح على الطعن في شخصية رسول الله ﷺ.

عن عبّاد بن عبد الله قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب مفتر، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين[4].

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام أنا أخو رسول الله ﷺ وابن عمه ولا يقولها

---

(١) شرح النهج: ج٢ ص٥٠.

(٢) شرح النهج: ج٢ ص٤٧.

(٣) شرح النهج: ج٢ ص٤٧.

(٤) تاريخ الطبري: ج٢ ص٥٦.

بعدي إلا كذاب[1].

عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ آخى بين الناس، وترك عليا حتى بقي آخرهم، لا يرى له أخا. فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني؟ قال: «ولم تراني تركتك إنما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإني أذاكرك قل أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدي إلا كذاب»[2].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «على باب الجنة مكتوب لا اله إلا الله محمد رسول الله، علي أخو رسول الله قبل أن يخلق السموات بألفي سنة»[3].

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نسير على نهجه القويم وصراطه المستقيم. فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[4].

وإن من المؤكد أن ولاية علي بن أبي طالب هي الصراط المستقيم، فعن الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ قال: يقول: هذا طريق علي بن أبي طالب وذريته، فاتبعوه، وتمسكوا به، فإنه واضح لا عوج فيه[5].

وبذا نستنتج أن الصحابة ارتكبوا محرماً شرعياً، حين تنازعوا على الخلافة، وأحرقوا بيت فاطمة عليها السلام وإسقاط جنينها، حيث ورد في هذا المقام، وعن

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٢٨٧.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج٢ ص١٢٤.

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج٢ ص١٢٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٥) غاية المرام: ص٤٣٤.

كيفية كشف بيتها عليها السلام وما جرى للمتحصنين فيه المتخلفين عن بيعة أبي بكر، وهم علي والعباس والزبير، فقعدوا في بيتها، حتى بعثه إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب، ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة. فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لتُحرق دارنا؟ قال: نعم. أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة[1].

وذكر الذهبي في كتابه: أن عمر رفس فاطمة، حتى أسقطت بمحسن[2].

وذكر الوافي في كتابه: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت المحسن من بطنها[3].

فتبين من حديث الفرقة الناجية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله هم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

---

(١) العقد الفريد: ج٤ ص٢٤٢.

(٢) ميزان الاعتدال: ج١ ص١٣٩ ح٥٥٢.

(٣) كتاب الوافي بالوافيات: ج٦ ص١-٧ ح٢٤٤٤.

فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين

إن فاطمة عليها السلام بإرادة الله كانت لنساء العالمين سيدة دون غيرها، لأنها نموذجاً صادقاً وحاكياً عن شخصية أبيها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً وموقفاً، فلذا تقلدت الوسام النبوي للسيادة، وتشبعت كينونتها بهذا الفيض النبوي، فما نطقت إلا عن كتاب الله، ولا عملت إلا بسنة نبيه، وقد تناولت صحاح المسلمين ومسانيدهم هذا الشأن بكثير من الإسهاب.

فعن عائشة: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء المؤمنين».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة». فضحكت لذلك.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[1].

وعن علي عليه السلام قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا والحسن والحسين قلت: يا رسول الله فمحبونا. قال: من ورائكم[2].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٦، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٠، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٧ ح٣٤٢١٦، صحيح مسلم: ج٥ ص٥٧ ج٢٤٥٠، صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦٠ ح٣٥٠٧ و ٣٤٢٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥١، مسند فاطمة الزهراء: ص١٦٧، ص١١٨، تذكرة الخواص: ص٢٩١، كنز العمال: ج١٢ ص١١٠ ح ٣٤٢٣١، وص١٠٧ ح ٣٤٠١٧ وفيه «إن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، ميزان الاعتدال: ج٤ ص٣٣ وفيه: «سيدة نساء أمتي» مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٤، صفوة الصفوة: ج٢ ص١٢، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٢.

وعن حذيفة عن رسول الله ﷺ قال نزل من السماء ملك، فاستأذن الله أن يُسلم عليَّ لم ينزل قبلها. فبشرني إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

وعن علي عليه السلام أن النبي ﷺ قال لفاطمة: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، وابنيك سيدا شباب أهل الجنة.

قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «أما أنها سيدة النساء يوم القيامة».

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، على مبغضهم لعنة الله»[1].

إن الأحاديث النبوية تدل على عظمة ومكانة السيدة فاطمة عليها السلام عند رسول الله ﷺ أبيها ومربيها، دون إشارة إلى أزواجه.

وعن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «خير رجالكم علي بن أبي طالب، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخير نساؤكم فاطمة بنت محمد ﷺ»[2].

ونتسائل هل أن الصحابة لم يسمعوا حديث سيدة نساء العالمين، حين هجموا على دارها، ولم يستأذنوا منها في الدخول، وبارتكابهم ذلك، خالفوا نص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[3].

---

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص٧٤.

(٢) مسند فاطمة: ص١٢٧، تاريخ بغداد: ج٤ ص٣٩٢ ح٢٢٨٠.

(٣) سورة النور: الآيتان ٢٧-٢٨.

لا أعرف ما أقول أليس بيت فاطمة عليها السلام هو بيت رسول الله صلى الله عليه وآله أولم يكن من حرمات الله، فلم لم يراعوا حرمة الله.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الاستئذان ثلاث فإذا أذن لك وإلا فأرجع وقد كان عمر استأذن على النبي صلى الله عليه وآله ثلاثا فأذن له»[1].

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٥٤ ح ٢٩٩١ و ح ٢٦٩٠ باب ما جاء في الاستئذان ثلاثة.

تسبيحة فاطمة عليها السلام

إن الروابط الوثيقة التي كانت تشد فاطمة عليها السلام بابيها الأكرم محمد صلى الله عليه وآله كانت على درجة متميزة من الرقي، مما جعلها في هذا المصاف الكبير من المثالية والأنموذج الفذ في التربية الروحية والأخلاقية.

فعن علي عليه السلام: «إن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي صلى الله عليه وآله تسأله خادماً فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم. فقال صلى الله عليه وآله: مكانك، فجلس بيننا حتى وجدت بَرْدَ قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على من هو خير لكما من خادم، إذا أوتيتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما، فكبّرا أربعاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم»[1].

وعن علي عليه السلام قال: «شكت إليَّ فاطمة مجل يدها من الطحن. فقلتُ: لو أتيتِ أباك فسألته خادماً فقال صلى الله عليه وآله: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من

---

(١) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٣٢٩ ح٥٩٥٩، ح٣ ص١١٣٣ ح٢٩٤٥ و ص١٣٥٨ ح٣٥٠٢، صحيح مسلم: ج٥ ص٢٦٣ ح٢٧٢٧ وفيه قال علي عليه السلام: «ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وآله قبل له ولا ليلة صفين قال ولا ليلة صفين»، المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٥١، حلية الأولياء: ج٢ ص٤١، مسند فاطمة: ص٢١٢ ح٢٤٣ وص٢١٧ ح٢١٥ وص٢٠٥ ح٢٣٣، صفوة الصفوة: ج٢ ص١١، النزاع والتخاصم: ص٨٦.

الخادم، إذا أخذتما مضجعكما تقولان: ثلاثاً وثلاثين، وثلاثاً وثلاثين، وأربعاً وثلاثين من تحميد وتسبيح وتكبير»[1].

وإن العالم الإسلامي اليوم بكل طوائفه وفرقه وانتماءاته، يعملون بهذه السنة الحسنة التي عمل بها علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام لكونهما مصداق السنة النبوية ونبراسها الشاهق، وقد عرف تسبيح فاطمة عليها السلام حتى عند غير المسلمين.

إن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله جعل ذكر أهل بيته بهذا التسبيح على ألسن المسلمين وفي قلوبهم، باعتبارهم القدوة والأسوة وأهل البيت أدرى بما في البيت، فإن ارتباط النبي صلى الله عليه وآله بأهل بيته عليهم السلام ارتباط سماوي، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾[2] والتقرب إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بحاجة إلى التقوى.

وقد ورد نفس الحديث، في مصادر مختلفة من الكتب الإسلامية؛ ففي صفوة الصفوة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وإذا أويتما إلى فراشكما، فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبّرا أربعاً وثلاثين. فورد فيه قول علي عليه السلام: ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وآله فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين. قال علي عليه السلام: قاتلكم الله يا أهل العراق نعم ولا ليلة صفين[3].

وظل بعدها تسبيح فاطمة عليها السلام على ألسن المسلمين سنة تتداولها الأجيال إلى ما شاء الله، من بقاء الإنسان على الأرض.

---

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٤٧٧ ح٣٤٠٨، حلية الأولياء: ج٢ ص٤١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٣) صفوة الصفوة: ج٢ ص١٠، صحيح مسلم: ج٥ ص٢٦٢ ح٢٧٢٧.

فاطمة عليها السلام في المحشر

لقد شاء الله تعالى أن تكون لحياة الإنسان سنة الانتقال من عالم الفناء إلى عالم البقاء، إلى عالم جديد عليه يشاهد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، عالم الآخرة عالم الحساب والجزاء، وقد ملأت آيات القرآن الكريم بشواهد الآخرة فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]. وكذلك ملأت كتب الأحاديث بالشواهد الكثيرة.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «واعلم يا بني انك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللفناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة..»[3].

إن التوجه والاستعداد إلى العالم العلوي، يتم بالتقوى والعمل الصالح ونيل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته العظام عليهم افضل الصلاة والسلام، فالتوسل بهم هو طريق النجاة والخلاص لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) نهج البلاغة: ص٤٠٠ / ٣١.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٨٨ - ٨٩.

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[1].

وإن السيدة فاطمة عليها السلام امتازت بمنزلة رفيعة عند الله تعالى، فقد أخصها بوجاهة وهيبة وجلال وقدر وشأن وقدسية بمستوى خاص، لا يليق إلا بها، ومن سير الأحاديث النبوية نتعرف على مقدار هذه الصفات المشار إليها في منزلة فاطمة عند رب العزّة، حيث تمر فاطمة عليها السلام يوم القيامة على أهل الموقف.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش، يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم، حتى تمرَّ فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين، كمرِّ البرق»[2].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٢، مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٤٥، تذكرة الخواص: ص٢٧٩، مسند فاطمة الزهراء: ص١٢٩ ح٩٢ وص١٣١ ح٩٣، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٥ ح٣٤٢٠٩ و ص١٠٨ ح٣٤٢١٩، فرائد السمطين: ج٢ ص٤٩، تاريخ بغداد: ج٨ ص٤١٤٢ - ٤٢٣٤.

شبيهة الرسول ﷺ

ورثت السيدة فاطمة عليها السلام أبعاد شخصية أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله على كافة المستويات أخلاقاً وسلوكاً وسيرة حتى أنه صلى الله عليه وآله قال «فاطمة بضعة مني» أي بضعته النبوية والأخلاقية.

فقد ورد عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثا وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة عليها السلام وكانت إذا دخلت عليه، أخذ بيدها فقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها[1].

فقامت بينهما وشائج أبوية فائقة للوصف، كان خلالها يغذيها بالسجايا النبوية العظيمة حتى أضحت جزء من البناء النبوي المقدس.

وتضيف عائشة فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فأسرَّ إليها فبكتْ، ثم أسر إليها فضحكت. فقلت كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء، فإذا هي واحدة منهن، بينما هي تبكي، إذا هي تضحك. فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله سألتها فقالت: أسرَّ إليَّ فأخبرني أنه ميت فبكيت، ثم أسرَّ إليَّ أني أول أهل بيتي لحوقاً به، فضحكت[2].

---

(١) العقد الفريد: ج٣ ص٢٢٩، دلائل النبوة: ج١ ص١٦٤.

(٢) نفس المصدر.

وعن عائشة أيضاً قالت: كنا عند النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه ما تغادر منا واحدة، إذ جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية النبي ﷺ شيئاً، فلما رآها قال: «مرحبا بابنتي» فأقعدها عن يمينه أو يساره ثم سارها بشيء فبكت. فقلت لها أنا من بين نسائه خصك رسول الله ﷺ من بيننا بالسرار، وأنت تبكين، ثم سارها بشيء فضحكت. قالت: فقلت لها أقسمت عليك بحقي لما أخبرتيني، قالت ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره، قالت فلما توفي النبي ﷺ سألتها. فقالت أما الآن فنعم، أما بكائي فإن رسول الله ﷺ قال لي: «إن جبريل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كل عام مرة، فعرض العام مرتين، ولا أرى إلا أجلي قد اقترب، فبكيت. فقال لي: «اتقي الله واصبري فإني أنا نعم السلف لك» ثم قال: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت»[1].

وروته عائشة في طريقة ثالثة حيث قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يُغادر منهن امرأة. فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً بابنتي»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أنه أسر إليها حديثاً، فبكت فاطمة، ثم أنه سارّها فضحكت أيضاً.

فقلت لها: ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصَّك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟ وسألتها عما قال؟.

فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض، سألتها. فقالت:

---

(١) حلية الأولياء: ج٢ ص٤٠، صفوة الصفوة ج٢ ص١٢ أخرجه البخاري في علامات النبوة والترمذي في مناقبه رقم ٣٨٧٢.

إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به في العام مرتين، ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك. فبكيت لذلك، ثم أنه سارني فقال: ألا ترضين أن تكون سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة، فضحكت لذلك[1].

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٥٧ ح٢٤٥٠.

بضعة النبي ﷺ

لقد بعث الله تعالى نبينا محمد ﷺ رحمة للعالمين، في مجتمع تسوده الجاهلية وتلقي بضلالها القاسية عليه، وتتفشى فيه البداوة بطبائعها الخشنة، والظلم يأخذ فيه كل مأخذ. فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. حيث تصدر الرحمة من الذات الإلهية الرحيمة لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2].

فجاءهم النبي ﷺ لينقذهم من الضلالة والجاهلية، إلى آفاق الهداية والنور، وتنتهي دوائر الظلم والتعسف والنهب وسفك الدماء، فأكد بينهم هذه القيم الجديدة وزرعها بلمسات المحبة والمودة في دواخلهم الظلماء، فأفشى بينهم السلام وصلة الأرحام وزيارة الأخوان، لإزالة معالم الشحناء والبغضاء والأحقاد ليصنع مجتمع ملي بالمحبة والتعاون والخير وأخلاق وآداب وسلوكيات مغايرة تماماً، فارتفعت قيمة الإنسان من خلال التأكيد النبوي على إنسانيته، ورفعت مكانة الإنسان في النظرة العامة التي أصبحت تسود في المجتمع الجديد، الذي أنشأه رسول الله ﷺ وقد جعل وصاياه تفيض محبة ومودة فيما بينهم. كما أنه طلب منهم بمحبة ومودة ابنته فاطمة عليها السلام لجلال قدرها عنده واعتزازه

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

الكبير بها، ولمنزلتها عند الله سبحانه وتعالى.

عن المسور بن حزمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني[1]، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها»[2].

وقال أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة شجنة[5] مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها»[6].

وكذلك عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها، فمن أغضبها فقد أغضبني»[7].

---

(١) البضعة: بالفتح، القطعة من اللحم، وقد تكسر أي أنها جزء مني ج٤٣ ص٣٩.

(٢) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٤ ح٢٤٤٩، الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣، مسند فاطمة: ص١٤٣ ح١٢٣، كنز العمال: ج١٢ ص١١١، تاريخ دمشق: ج٣ ص١٥٦ ح٥٩٨.

(٣) صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٧٤ ح٣٥٥٦ وص١٣٦١ ح٣٥١٠، صفوة الصفوة: ح٢ ص١٣، مسند فاطمة: ص١٣٧ ح١٠٤، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٨ ح٣٤٢٢٢ وص١١٢ ح٣٤٢٤٤.

(٤) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٩٩ ح٣٨٦٩، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٧ ح٣٤٢١٥.

(٥) الشجنة: تقرأ بالكسر والضم يقال شجرة تشجن إذا التفت بعضها ببعض. وفي الحديث: الرحم شجنة من الله عز وجل يعني قرابة متشابكة العروق. والشجنة كالغصن يكون من الشجرة وقيل: الحديث ذو شجون إنما تمسك بعضه ببعض، البحار: ح٧١ ص٩٥، لسان العرب: ١٣ ص٢٣٢- ٢٣٣.

(٦) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٥، مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٦، كنز العمال: ج١٢ ص١١١ ح٣٤٢٤٠، فرائد السمطين: ج٢ ص٤٥، الشجنة: الغصن الملتف المشتبك.

(٧) تذكرة الخواص: ص٣٧٩، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٠.

وعن أنس قال رسول الله ﷺ: «ما خير للنساء» فلم ندر ما نقول، فسار علي إلى فاطمة، فأخبرها بذلك. فقالت: «فهلا قلت خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن» فرجع فأخبره بذلك فقال له: «من علمك هذا»، قال: فاطمة قال: «إنها بضعة مني»[1].

ودلالة الأحاديث النبوية باختلاف ألفاظها ووحدة معانيها، تدل على أن النبي ﷺ قالها اكثر من مرة، لعلمه ما سيجري على ابنته فاطمة عليها السلام بعد وفاته ﷺ والظلم الذي سيلحقها بعده.

ونرى أن تعاليمه ﷺ تدعو إلى زرع المحبة والمودة للأولاد. فقال رسول الله ﷺ: «أولادنا أكبادنا صغراؤهم أمراؤنا وكبراؤهم أعداؤنا. فإن عاشوا فتنوا وإن ماتوا أحزنونا»[2].

ويهتم شديد الاهتمام بالبنت فقال ﷺ: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإن من فرَّح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل..»[3].

وقد احتلت اسمها مكانة مرموقة في مجتمع الأئمة عليهم السلام، حتى أصبح اسمها منال الوسام والشرف.

وقد سُأل الإمام جعفر الصادق عليه السلام أحد أصحابه - وقد رزقه الله بنتاً - بمَ سميتها. قال الرجل: سميتها فاطمة. قال الإمام الصادق عليه السلام: فاطمة سلام على فاطمة، أما إن سميتها فاطمة، فلا تلطمها ولا تشتمتها وأكرمها[4].

---

(١) حلية الأولياء: ج٢ ص٤٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٧٠ ح١٧٨٩٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٢٧ ح٢٧٧٢٧ - باب استحباب شراء التحف للعيال.

(٤) ينابيع المودة: ص١٩٤ نقلاً عن فاطمة من المهد إلى اللحد ص٧٣.

وما فتئ رسول الله يوصي المسلمين بحب فاطمة عليها السلام وتعظيم قدرها وإبداء المودة إليها، ولكن الخشية عليها كانت قد أخذت إلى قلبه طريقاً.

عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله الوفاة بكى، حتى بلّتْ دموعه لحيته. فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: أبكي لذريتي وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي، وهي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي[1].

وإن ذلك قد أخبر فيه النبي صلى الله عليه وآله وأخبر فاطمة عليها السلام بذلك حيث ستنتظرها المآسي والأحزان بعد رحيله صلى الله عليه وآله حتى مقتل ولدها الحسين عليه السلام حيث بكى الرسول لذلك، واخبرها بما سيحل بولدها عليه السلام.

إلا أن القوم أعرضوا عن كل وصايا الرسول صلى الله عليه وآله بمنزلة فاطمة عليها السلام فأقدموا على ما أقدموا عليه من هجوم على دارها وحرق هذه الدار وكسر ضلعها وإسقاط جنينها، الأمر الذي أدى إلى نقمة المسلمين تجاه السلطة الحاكمة، والطعن في شرعية هذه السلطة ومروقها عن جادة الحق، مما جعلهم يحسبون لذلك حساباً ومحاولة تقديم الاعتذار إلى السيدة فاطمة عليها السلام حتى أن عمر قال لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنا قد اغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما، فأتيا علياً عليه السلام فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها. فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله احب إليّ من قرابتي، وإنك لأحب إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك، أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك واعرف فضلك وشرفك

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد: ص٢٩٦.

وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا إني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول لا نورث ما تركناه فهو صدقة.

فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ فقالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، من أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني، قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكونكما إليه.

قال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه ومن سخطك يا فاطمة. ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق، وفاطمة تقول: والله لأدعونّ عليك في كل صلاة أصليها. ثم خرج باكياً. فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي[1].

وفي رواية قال أبو بكر: يا بنت رسول الله، إنا أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك، نسألك أن تغفري لنا وتصفحي عما كان منا إليك، قالت: لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى ربي، وأشكوكما إليه، وأشكو صنيعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني. ثم التفتت إلى علي عليه السلام وقالت: إني لا أكلمهما من رأسي حتى أسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله، فإن صدقا رأيت رأيي، قال: اللهم ذلك لها، وأنا لا نقول إلا حقا ولا نشهد إلا صدقا، فقالت: أنشدكما بالله أتذكران أن رسول الله استخرجكما من جوف الليل بشيء كان حدث في أمر علي فقالا: اللهم نعم. فقالت: أنشدكما بالله، هل

---

(١) الإمامة والسياسية: ج١ ص١٤، أعلام النساء: ج٣ ص٢١٤.

سمعتما النبي ﷺ يقول فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي. قالا: اللهم نعم فقالت: الحمد لله. ثم قالت: اللهم إني أشهدك، فاشهدوا يا من حضرني انهما قد آذياني في حياتي وعند موتي. والله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي، فأشكوكما إليه بما صنعتما به وبي، وارتكبتما مني.

فدعا أبو بكر بالويل والثبور، وقال: ليت أمي لم تلدني! فقال عمر: عجباً للناس كيف ولّوك أُمورهم، وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما لمن أغضب امرأة! وقاما وخرجا[1].

وكانت فاطمة عليها السلام أحب الناس إلى رسول الله ﷺ فقد سئل ﷺ أي الناس أحب إليك قال: «فاطمة»[2].

وعن أسامة بن زيد: إن علياً قال يا رسول الله أي أهلك أحب إليك قال: «فاطمة»[3].

وقال رسول الله ﷺ: كل بني أم ينتمون إلى عصبة، غير أولاد فاطمة فأنا أبوهم وأنا عصبتهم[4].

وكذلك قوله: «كل بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد: ص٥٩٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج٣ ص٤٣٤، سنن الترمذي: ج٥ ص٦٧٨ ح٣٨١٩ وفيه جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك؟ قال: فاطمة بنت محمد.

(٣) سير أعلام النبلاء: ج٤ ص١٢٠.

(٤) تاريخ بغداد: ج١١ ص٢٨٥.

أبوهم وأنا عصبتهم»[1].

نستنتج من مما ذكرنا بأن فاطمة عليها السلام قد أوذيت من قبل أبي بكر وعمر، وهذا واضح من مقالتها لهما، وأشاحت وجهها إلى الحائط عنهما، وعدم ردّ السلام عليهما. كذلك مقولة عمر لصاحبه: انطلق بنا إلى فاطمة فإنا قد أغضبناها فإن ذلك يدخل في دائرة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه: «يا سلمان من أحب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار، يا سلمان حب فاطمة ينفع في مائة من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت والقبر والميزان والمحشر والصراط والمحاسبة، فمن رضيتْ عنه ابنتي فاطمة رضيتُ عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبتْ عليه غضبتُ عليه، ومن غضبتُ عليه غضب الله عليه، يا سلمان ويل لمن يظلمها ويظلم بعلها أمير المؤمنين علياً، وويل لمن يظلم ذريتها وشيعتها»[2].

فمن سير الحديث نستنتج أن أبا بكر وعمر هما في النار بقول رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن نصيحتي التي أسديها إلى جمهرة المسلمين هي الالتحاق بمدرسة أهل بيت النبوة عليهم السلام ذلكم لفرقة الناجية التي حباها الله بفضله، ويعرضوا عن موظفي المساجد دعاة الضلالة كاتمي فضائل ومناقب آل البيت عليهم السلام عن أسماع وأفئدة المسلمين، وقال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[3] فقال رسول الله فيهم: أذكركم الله في بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله

---

(١) تاريخ بغداد: ج١١ ص٢٨٥.

(٢) فرائد السمطين: ج٢ ص٦٧.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٣.

في أهل بيتي[1].

فَلِمَ لا نلتحق بركبهم وهذا ما يقوله فيهم رسول الله ﷺ.

كما أنه ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، عن علمه وما عمل به، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت. فقيل يا رسول الله ومن هم؟ فأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة الله، وأحبوني لحب الله عز وجل، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»[4].

وكذلك قال رسول الله ﷺ: «أساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي»[5].

فهل بعد هذا نسوغ لأنفسنا أن نسير في ركب أعداء رسول الله ﷺ أمثال معاوية بن أبي سفيان رأس الكفر والنفاق الذي شق عصا المسلمين، حتى قال فيه رسول الله ﷺ إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[6].

معاوية الذي دأب على لعن علي عليه السلام ومتهالكاً حتى كبر عليه الصغير

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٦ ح٢٤٠٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٢٥٩ ح٨٧٩٠.

(٣) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٦٤ ح٣٧٨٩، ميزان الاعتدال: ج٢ ص٤٣٢ ح٤٣٦٧، الصواعق المحرقة: ص١٧٢، كنز العمال: ج١٢ ص٩٥ ح٣٤١٥٠، تفسير القرآن العظيم: ج٤ ص١١٤.

(٤) الصواعق المحرقة: ص١٧٢ - ٢٣٠، ينابيع المودة: ص٣٦٣.

(٥) كنز العمال: ج٧ ص١٠٣ وج١٢ ص١٠٥ ح٣٤٢٠٦.

(٦) كنز العمال: ج٧ ص١٠٣ وج١٢ ص١٠٥ ح٣٤٢٠٦.

وشاخ الكهل وهرم الكبير، واستمر معاوية في لعن أمير المؤمنين وسبه في أعقاب الصلوات والجماعات وعلى صهوات المنابر في شرق الأرض وغربها، حتى في مهبط وحي الله (المدينة المنورة) وإن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية: انك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن هذا الرجل، فقال: لا والله حتى يربوا عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً.

وقال الزمخشري: إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر، يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنه لهم معاوية في ذلك[1].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في معاوية: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل وما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وأنه سيأمركم بسبي والبراءة مني»[2].

وقد صارت سنة جارية، ودعمت في أيام الأمويين حتى أضحت عقيدة راسخة عندهم، وفريضة ثابتة أو سنة متبعة يُرغب فيها بكل شوق وتوق على سبعين ألف منبر في أمصارهم، حتى أن عمر بن عبد العزيز لما منع عنها لحكمة عملية أو سياسية آنية حسبوه كأنه جاء بطامة كبرى أو اقتراف إثماً عظيماً[3].

قيل لمروان بن الحكم: ما لكم تسبون علياً على المنابر؟ قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

ومروان بن الحكم الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون»[4].

---

(١) الغدير: ج٢ ص١٠١.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) الغدير: ج١٠ ص٢٦٦.

(٤) الغدير: ج٨ ص٢٦٠-٢٦٤ وج١٠ ص٢٦٣.

أم المؤمنين خديجة عليها السلام

تميزت السيدة خديجة عن سائر أزواج النبي ﷺ بمواقفها المشرفة قبل الإسلام وبعده، فاختارت أن تعيش مع النبي ﷺ قبل البعثة، وشاركته همومه ومواقفه وآلامه وأتعابه، لما تعرض له من قريش، وبذلت أموالها الوفيرة في سبيل تدعيم ركائز الإسلام ونشره، حتى قيل أن الإسلام انتشر بسيف علي عليه السلام وأموال خديجة، وقد عمل رسول الله ﷺ برد الفضل إليها وتعظيمها ورفع جلال قدرها وتعظيمها، سيما وأنها أصبحت أماً لفاطمة عليها السلام وحين تناهبتها من يديه كف الأقدار، ظل مداوما على ذكرها بالخير، وتبجيل شخصيتها المتميزة، مما حدا بعائشة إلى القول: ما غرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها، وإن كان ليذبح الشاة فيتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهنّ.

وقالت عائشة أيضاً: ما حسدت أحداً ما حسدت خديجة، وما تزوجني رسول الله ﷺ إلا بعدما ماتت، وذلك أن رسول الله ﷺ بشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[1].

فإنه ﷺ لم يتزوج عليها في حياتها، لمكانتها عنده، ولكن بعد وفاتها عليها السلام جمع رسول الله ﷺ زوجاته التسع لأنها من مختصات النبي ﷺ بينما المسلمون لا يحق لهم الجمع اكثر من أربع زوجات وظلت الغيرة تعتمل في قلب عائشة من

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٧٠٢ ح٣٨٧٥ و ٣٨٧٦، صحيح مسلم: ج٥ ص٤١ ح٢٤٣٣.

ذكرى هذه السيدة الجليلة رغم عدم إدراكها لها، حتى أنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة، على رسول الله ﷺ فغرت استئذان خديجة فارتاح لذلك. فقال: اللهم هالة بنت خويلد، فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، فأبدلك الله خيراً منها[1].

وتقول عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها، فذكرها ذات يوم، فاحتملتني الغيرة، فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، قالت: فرأيت رسول الله ﷺ غضب غضباً، أسقطت في خلدي، وقلت في نفسي اللهم انك إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما لقيت قال: كيف قلت؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه مني[2].

فلا مقارنة تجري بين السيدة خديجة عليها السلام وبين باقي نساء الرسول ﷺ ففي الوقت الذي نالت فيه الشأن الأكبر من اهتمام واحترام رسول الله ﷺ نجد أن البقية قد وردت فيهن آيات ذم في القرآن الكريم، بل تعدى الأمر بهن إلى تهديد النبي ﷺ بطلاقهن في قوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[3] وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٤٢ ح٢٤٣٧ وص٤١ ح٢٤٣٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج٣ ص١٩٥ ح٦٠٣، كنز العمال: ج١٢ ص١٣٢ ح٣٤٢٤٨ و ح٣٤٣٤٩.

(٣) سورة التحريم: الآية ٥.

أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [1].

كذلك قوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [2].

إن ما ورد في هذه الآيات لا ينطبق على السيدة خديجة عليها السلام التي استحقت الوسام الأعلى بين أوساط المسلمين، بكونها أم المؤمنين حقاً، لكننا نلاحظ إهمالاً غير قليل بين المسلمين، لدور هذه المرأة الكبيرة والمجاهدة العظمى، سيما في أوساط أئمة المساجد والمؤرخين، حيث التجاهل الواضح لذكرها، وكلما اقترفته أنها أم السيدة فاطمة عليها السلام بينما نرى علو كعب عائشة في الذكر والخطابات، رغم العداء والحسد اللذين تكنهما للسيدة خديجة عليها السلام، وأن عائشة ذُمت في القرآن الكريم وباقي أزواج النبي صلى الله عليه وآله ناهيك عن عدائها وكرهها لعلي بن أبي طالب عليه السلام وإشعال الفتنة عليه في حرب الجمل، حيث راح ضحيتها أكثر من عشرين ألف صحابي وتابعي، وقد ذكر البخاري في صحيحه: قام النبي صلى الله عليه وآله خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: «هنا الفتنة - ثلاثاً - من حيث يطلع قَرْنُ الشيطان»[3].

وطالما أغضبت رسول الله صلى الله عليه وآله في بغضها لعلي وخديجة، إلا أن التعصب يعمي البصائر، فنرى جموع المسلمين تلهج بسيرة عائشة، ويتناسوا الدور الخالد الذي لعبته خديجة عليها السلام في إتمام رسالة الإسلام.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٠.

(٣) صحيح البخاري: ج٣ ص١١٣٠ ح٢٩٣٧.

أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إن النبي محمد ﷺ هو أعظم ما في الوجود، الذي خلقه الله سبحانه، وهو رحمته الواسعة في العالمين من الأولين والآخرين فقال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1] ناهيك عن أنه سر الوجود، والحديث القدسي يبين ذلك: «يا محمد لولاك، لما خلقت الأفلاك..» لا ريب أن أهل بيته الذين ساروا على خطاه وانتهجوا نهجه، لهم حظ وافر من هذه العظمة، والسر الإلهي الذي وضعه الله في نبيه فقال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [2].

فلنستدرج جلّ ما ورد في روايات الحديث عن ذلك، لنثبت صحة ما ذهبنا إليه. ففي صحيح مسلم عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة، وعليه مِرْط مُرَحّل [3] من شعر أسود. فدعا رسول الله ﷺ حسناً، فأدخله ثم دعا حسيناً فادخله، ثم دعا فاطمة فادخلها، ثم دعا عليا فأدخله، ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٣) مرط مرحل: المرط: كساء، المرحل: هو موشى المنقوش عليه صور الرحال الإبل.

تَطْهِيرًا ﴾[1] .

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، ثم قال «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وخاصتي، اذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا» فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله، قال قفي في مكانك، فإنك إلى خير.

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب[2].

وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال: أدعوا إليّ فقالت صفية: من يا رسول الله قال: «أهل بيتي عليا وفاطمة والحسن والحسين» فجيء بهم، فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه، ثم رفع يديه، ثم قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا»[3].

وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ: «أما بعد إلا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثّ على كتاب الله

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٣٧ ح٢٤٢٤، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٧، شواهد التنزيل: ج٢ ص٣٣ ح٦٧٦٧، فرائد السمطين: ج٢ ص٢٢.

(٢) صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٦٣ ح٣٧٨٧، ص٦٦٩ ح ٣٨٧١، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤ ص١٣٩ ح٣٤٤٤.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٧، شواهد التنزيل: ج٢ ص٣٣ ح٦٧٥، الصواعق المحرقة، فرائد السمطين: ج٢ ص١٨ وفيه قال: اللهم إن لكل نبي أهل بيت وهؤلاء أهلي، فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج١ ص٢٧٣.

ورغّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وعن زيد بن أرقم، قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، ونزل بغدير خم أمر بدوحات، فقممن. فقال: «كأني قد دعيت فأجيب، أني قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

وعن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[3].

قال: نزلت في رسول الله ﷺ وعلي نفسه ﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾ في فاطمة ﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ في حسن وحسين. والدعاء على الكاذبين، نزلت في العاقب والسيد وعبد المسيح وأصحابه.

وفي رواية، لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي»[4].

وعن ابن عباس أيضاً أنه قال: سمعت النبي ﷺ بأذنيّ، وإلا فصمتا، وهو يقول: «أنا شجرة، وفاطمة حملها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها،

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٦ ح٢٤٠٨، تذكرة الخواص: ص٢٩٠، الإتحاف بحب الأشراف: ص٤٢، تاريخ مدينة دمشق: ج٦٩ ص٢٤٠، فرائد السمطين: ح٢ ص٢٧٤.

(٢) المستدرك: ج٣ ص١٤٧، تذكرة الخواص: ص٢٩٠، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٥ وفيه: أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٤) فرائد السمطين: ج٢ ص٢٠٥ ح٤٨٤ وص٢٠٧ ح٤٨٦.

والمحبون أهل البيت ورقها من الجنة حقا حقاً»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب النجوم، ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي، ذهب أهل الأرض»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، لم تزل قدما عبد، حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت؟»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على خصال ثلاث: على حب نبيكم، وأهل بيته، وعلى قراءة القرآن»[5].

وعن أبي بكر، قال: «ارقبوا محمداً - أي احفظوه - في أهل بيته - فلا تسبوهم، ولا تؤذوهم، وهم فاطمة وأولادها عليهم السلام»[6].

---

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص٣٠.

(٢) تذكرة الخواص: ص٢٩١، فرائد السمطين: ح٢ ص٢٤١ وفيه أهل بيتي أما لأمتي، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٧، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٢ ح٣٤١٨٩ وفيه: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفها قبيلة من العرب فاختلفوا فصاروا حزب إبليس.

(٣) تذكرة الخواص: ص٢٩١، فرائد السمطين: ج٢ ص٢٤٦ وفيه: من دخلها نجا، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧١، كنز العمال: ج١٢ ص٩٤ ح٣٤١٤٤ ص٩٥ ح ٣٤١٥١، مرج البحرين: أبو فرج الأصفهاني.

(٤) فرائد السمطين: ج٢ ص٣٠١.

(٥) فرائد السمطين: ج٢ ص٣٠٤ ح٥٥٩.

(٦) صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥٠٩، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ وص١٣٧٠ ح٣٥٤١، ←

وعن زيد بن يثيع قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة يقول: رأيت رسول الله ﷺ خيّمة - وهو متكئ على قوس عربية - وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: يا معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجدّ طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقيّ الجدّ رديء الولادة، قال رجل يا زيد أنت سمعت منه؟ قال أي ورب الكعبة[1].

ونستطيع أن نأتي بالمزيد من الأحاديث النبوية الشريفة، حول تدعيم مقالنا في هذا الصدد الذي يعتبر من الأوليات والبديهيات في سفر الرسالة المحمدية. فلقد قال رسول الله ﷺ: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأمتي، من أحب أهل بيتي وهم شيعتي»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل حرمات ثلاثاً، من حفظهن، حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن، لم يحفظ له شيئاً، حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي»[4].

فأين هذا من انتهاك حرمة الله وحرمة الإسلام وحرمة نبيه، التي انتهكها القوم حين تجرءوا على حرمة فاطمة عليها السلام ابنته وأم بنيه، حينما أمر أبو بكر عمر

باب مناقب الحسن والحسين (رضي الله عنهما).

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص٤٠، المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٤٩.

(٢) فرائد السمطين: ج٢ ص٢٥٧.

(٣) تاريخ بغداد: ج٢ ص١٤٦ - ٣٦٥.

(٤) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧١.

بن الخطاب بالهجوم على دارها، وأرهب أهل بيت النبوة وهو يقول: «اخرجوا للبيعة، وإلاّ لأحرقن عليكم بمن في الدار. فأبكى فاطمة عليها السلام وهي تقول له: يا بن الخطاب جئت لتحرق عليّ ولدي»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي، قطعوا حديثهم، والذي نفسي بيده، لا يدخل قلب امرئ الإيمان، حتى يحبهم لله ولقرابتي»[2].

وعن الهلالي، قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مشكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه، قال: فبكت. حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله طرفه إليها. فقال: حبيبتي فاطمة، ما الذي يبكيك؟ قالت: أخشى الضيعة بعدك. فقال: يا حبيبتي، أما علمت أن الله عز وجل أطلع إلى الأرض إطلاعة، فاختار منها أباك فبعثه برسالته، ثم اطلع إلى الأرض فاختار منها بعلك، وأوصى إليَّ، أن أنكحك إياه. يا فاطمة، ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال، لم تعط أحداً قبلنا ولا تعطى أحداً بعدنا، أنا خاتم النبيين، وأكرم النبيين على الله، وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل، وأنا أبوك، ووصيي خير الأوصياء إلى الله، وهو بعلك، ومنا من له جناحان أخضران، يطير مع الملائكة في الجنة حيث يشاء، وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما، والذي بعثني بالحق خير منهما يا فاطمة، والذي بعثني بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً[3] وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل،

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١ ص١٢، العقد الفريد: ج٤ ص٢٤٢، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٣.

(٢) كنز العمال: ج١٢ ص٩٦ ح٣٤١٦٠.

(٣) يريد القتال والاختلاط.

وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم، ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عز وجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة، وقلوباً غلقا يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً، يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عز وجل أرحم بك، وأرأف عليك مني، وذلك لمكانك من قلبي، وزوّجك الله زوجاً هو أشرف أهل بيتك حسباً، وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عز وجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي، قال علي عليه السلام: فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله لم تبق فاطمة عليها السلام بعده إلا خمسة وسبعين يوماً، حتى ألحقها الله عز وجل به صلى الله عليه وآله[1].

هذه الأحاديث تشير إلى عظمة ومنزلة أهل البيت عليهم السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأما الأحاديث التي وردت عمن ينال من مكانة أهل البيت عليهم السلام أو مَنْ يبغضهم فهي كثيرة، وقد أوعدت مثل هؤلاء بالنار منها:

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فسمعته وهو يقول: أيها الناس من أبغضنا أهل البيت، حشره الله يوم القيامة يهودياً. فقلت: يا رسول الله وإن صام وصلّى. قال: وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلم..[2]

وصحّ أنه صلى الله عليه وآله قال: «والذي نفسي بيده، لا يبغضنا أهل البيت أحد، إلا أدخله الله النار»[3].

وقال صلى الله عليه وآله: «من أبغض أهل البيت فهو منافق».

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٨، تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص١٣٠ ح٨٥٠١.

(٢) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٥.

(٣) الصواعق المحرقة: ص١٧٤.

وعن النبي ﷺ قال: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي، وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب، ولم يجازه عليها، فأنا أجازيه عليها غداً، إذا لقيتني يوم القيامة»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، فمن آذى أحداً من ولدها، فقد تعرض لهذا الخطر العظيم، لأنه أغضبها، ومن أحبهم، قد تعرَّض لرضاها»[2].

---

(١) تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، إحقاق الحق: ج٣ ص٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ص١٧٥.

من هم آل محمد ﷺ

إن من المسلمات عند جمهور المسلمين، بأن الأحاديث النبوية هي التي أشارت وحددت من هم آل محمد ﷺ ونحن اتباع السنة النبوية وأبناء الدليل أينما مال نميل، فليس هناك مَدعاة للشك عن الهوية الواضحة المعالم لهم عليهم السلام وقد صرحت بذلك جملة من الأحاديث النبوية الشريفة منها:

عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: آتيني بزوجك وابنيك، فجاءت بهم. فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساءاً كان تحتي خيبرياً، أصبناه من خيبر، ثم رفع يديه. ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم، انك حميد مجيد.

فرفعتُ الكساء لأدخل معهم، فجذبه رسول الله ﷺ من يدي. وقال: إنك إلى خير[1].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، إني سألت الله لكم ثلاثاً، أن يثبت قائمكم، ويعلّم جاهلكم، ويهدي ضالكم، وسألته أن يجعلكم جوداء نجداء رحماء، فلو أن رجلاً صفن - أي وقف - بين الركن والمقام وصلّى وصام، ثم مات وهو مبغض لآل بيت محمد ﷺ دخل النار»[2].

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٩، سنن الترمذي، مسند فاطمة: ص١٧٠ ح١٧٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٩، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧٤.

وعن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة، قال: ادعوا إليَّ. فقالت صفية: من يا رسول الله قال: أهل بيتي، علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم، فألقى عليهم النبي ﷺ كساءاً، ثم رفع يديه، ثم قال: اللهم هؤلاء آلي، فصل على محمد وآل محمد، وأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنك جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك، على إبراهيم وآل إبراهيم، اللهم انهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم - يعني علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً - »[2].

وسُئل رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نُسلِّم عليكم؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»[3].

---

(١) نفس المصدر: ص١٤٧، الصواعق المحرقة: ص٢٣٣.

(٢) كنز العمال: ج١٢ ص١٠١ ح٣٤١٨٦.

(٣) صحيح البخاري: ح٣ ص١٢٣٣ ح٣١٩٠ و ج٥ ص٢٣٣٨ ح٥٩٩٦ و ح ٥٩٩٧- باب الصلاة على النبي ﷺ، صحيح مسلم: ج١ ح٤٠٥ - كتاب الصلاة على النبي ﷺ وفيه كما باركت على إبراهيم في العالمين، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٥٩ ح٣٢٢٠، سنن الدارقطني: ج١ ص٣٥٥ باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ وفيه كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا قال: فصمت رسول الله ﷺ حتى أجبناه أن الرجل لم يسلم ثم قال: إذا صليتم عليّ فقولوا: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، سنن الدارمي: ج١ ص٣٠٩، باب الصلاة على النبي ﷺ، المستدرك على ←

وقال أبو بكر: راقبوا محمداً في آل بيته. وقال: والذي نفسي بيده، لقرابة محمد ﷺ أحب إلي من قرابتي[1].

وعن أبي بكر أيضاً قال: «ارقبوا محمداً - احفظوه - في أهل بيته، فلا تسبوهم، ولا تؤذوهم» وهم فاطمة وأولادها (رضي الله عنهم)[2].

وإن لآل البيت الشريف على الناس حقوقاً، ونسأل الله أن يوفقنا للقيام بها منها: إيثارهم على النفس بالتعظيم والتوقير والاحترام، فإن تعظيمهم من تعظيم رسول الله ﷺ كما أن على الناس الخشوع في حضراتهم، لأنهم بعض رسول الله ﷺ ويبغض من يؤذيهم، لأنه يؤذي الرسول ﷺ..[3].

وعن النبي ﷺ قال: لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صلِّ على محمد وتمسكون، بل قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاة لم يصلِّ فيها عليَّ ولا على أهل بيتي، لم تقبل منه»[5].

وفي هذا المعنى ورد عن أبي مسعود قال: «لو صليت صلاة لا أصلِّي فيها

الصحيحين: ج٣ ص١٤٨، السنن الكبرى: ج٢ ص٣٧٨- باب الصلاة على النبي ﷺ، وفيه ويارك على محمد النبي الأمي، مختصر تفسير ابن كثير: ج٣ ص١١١، التفسير الكبير: ج٥ ص٢٢٧، الصواعق المحرقة: ص٢٣٣.

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ص١٥.

(٢) صحيح البخاري: ح٣ ص١٣٦١ ح٣٥٠٩ و ص١٣٧٠ ح٣٥٤١ مع تعليق د. مصطفى ديب البغا، الدر المنثور: ج٧ ص٣٤٩، الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٤.

(٤) الصواعق المحرقة: ص١٤٦.

(٥) سنن الدارقطني: ج١ ص٣٥٥ باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ، الصواعق المحرقة: ص٢٣٣.

على آل محمد ﷺ لرأيت أن صلاتي لا تتم»[1].

وقال رسول الله ﷺ في ذات الأمر «من صلى صلاة لم يُصلِّ فيها عليّ ولا على أهل بيتي، لم تقبل منه»[2].

ونستزيد من مصادر التاريخ ما يؤكد ما نرمي إليه. فقد جاء في الصواعق المحرقة وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي، إن الصلاة على الآل، من واجبات الصلاة عليه ﷺ لقوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم
من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له[3]

وإن كتاب الله نصت بعض آياته، الصلاة على النبي محمد ﷺ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[4].

وإن الصلاة على محمد ﷺ وردت في أحاديث نبوية كثيرة تزيد على الخمسين حديثاً نذكر منها:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ صلت عليه الملائكة، ومن صلت عليه الملائكة صلى الله عليه، ومن صلى الله عليه لم يبق

---

(١) السنن الكبرى: ج ص٣٧٩، باب وجوب الصلاة على النبي ﷺ، سنن الدارقطني: ج١ ص٣٥٦.
(٢) سنن الدارقطني: ج١ ص٣٥٥، باب ذكر وجوب الصلاة على النبي ﷺ.
(٣) الصواعق المحرقة: ص١٤٨، الغدير: ج٣ ص١٧٣ وقد ذكر المؤلف مصادر المسلمين.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

شيء في السموات ولا في الأرض إلا صلى عليه».

وعن أبي بكر أنه قال: الصلاة على النبي ﷺ أمحى للذنوب من الماء لسواد اللوح.

وعن زيد بن حارثة قال سألت رسول الله ﷺ عن الصلاة عليه فقال: «صلوا عليَّ واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[1].

وعند المذهب الشافعي أن الصلاة على النبي ﷺ أمر للوجوب، فتجب الصلاة على النبي ﷺ ولا تجب في غير التشهد، وأن صلاة الله تعالى وملائكته والذين آمنوا، إنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا، ليثيبنا عليه[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[3].

وذكر فخر الدين الرازي في تفسيره: إن الدعاء للآل، منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: «اللهم صل على محمد وآل محمد، وارحم محمداً وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد، واجب وقال الشافعي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى
فيضاً كملتطم الفرات الفائض

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين بن محمد بن أحمد الاشبيهي ص٣٨٣ - ٣٨٥ باب ٨٤ حيث ورد ٤٠ حديثاً في الصلاة على رسول الله ﷺ.

(٢) التفسير الكبير: ح٢٥ ص٢٢٧ - أخذنا موضع الحاجة.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.

إن كـان رفضـاً حـب آل محمـــد

فليشـهد الثقـلان إنـي رافضـي[1]

وفي حديث رسول الله ﷺ عن أهمية حب الإنسان لآل محمـد أنه قـال: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد، مات تائبـاً، ألا ومـن مـات علـى حـب آل محمـد، مـات مستكمل الإيمـان، ألا ومـن مـات علـى حـب آل محمد، بشره ملك الموت بالجنة ثم منكـر ونكير، ألا ومـن مـات علـى حـب آل محمد، يزف إلى الجنة، كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمـد، فتـح لـه فـي قبره بابـان إلـى الجنـة، ألا ومـن مـات علـى حـب آل محمد، مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمـد، جـاء يـوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات علـى بغـض آل محمـد، مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد، لم يشم رائحة الجنة»[2].

هذا الذي رواه صاحب الكشاف. وأنا أقول آل محمد ﷺ هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل، كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام كان التعلق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلق، وهذا معلوم بالنقل المتواتر. فوجب أن يكونوا هم الآل[3].

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: يا عطية احفظ وصيتي ما أراك تصاحبني غير سفري هذا. أحب آل محمد، وأحِب محـب آل محمـد عليه السلام ولـو وقـع فـي

---

(١) التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٤، تفسير الكشاف: ج٣ ص٤٦٧، الصواعق المحرقة: ص١٣٣.

(٢) التفسير الكبير: ج٢٧ ص١٦٥، تفسـير الكشـاف: ج٣ ص٤٦٧، تفسـير الجـامع لأحكـام القـرآن: ١٦/١٦، نور الأبصار: ص١١٤.

(٣) فرائد السمطين: ج٢ ص٢٥٥ - ٢٥٨.

الذنوب والخطايا، وابغض مُبغض آل محمد ﷺ ولو كان صواما، واطعم الطعام وأفش السلام، وصل بالليل والناس نيام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، إلا لإطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام»[1].

وعن المقداد بن الأسود قال: قال رسول الله ﷺ: «معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب»[2].

---

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص٣٠٣.

(٢) فرائد السمطين: ج٢ ص٢٥٧.

زواج فاطمة عليها السلام

لقد جُمعت خصائص فريدة ونادرة في شخصية فاطمة عليها السلام فهي أولاً: خريجة المدرسة النبوية الكبرى، فاستلهمت تعاليمها بدقة متناهية، حتى أضحت أنموذجاً في أوج مدارج الكمال، وثانياً: هي نبت البيت النبوي، فصارت مثال الطهارة والأخلاق الرفيعة والعلم الغزير، حتى قال فيها النبي صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني، وروحي التي بين جنبي». فماذا يتجلى في بضعة النبي غير أخلاق الأنبياء؟ وماذا يكون من تربى في أحضان خاتم الأنبياء، ونهل مباشرة من ينابيع الحلم والأدب والرحمة؟ فهو في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ فمن المؤكد أن تكون هي بضعته في الرحمة والإنسانية، ألم تكن هي بهجة قلبه صلى الله عليه وآله حين قال صلى الله عليه وآله: «وهي قلبي الذي بين جنبي»[1].

ومن دون شك تبلغ فاطمة عليها السلام سن الزواج، وتكون مطلب وغاية لسادات المهاجرين والأنصار، فيتقدمون لطلب يدها من النبي صلى الله عليه وآله فكذا كان أبو بكر وعمر، حيث رفض النبي صلى الله عليه وآله طلبهما وقال صلى الله عليه وآله إن أمرها بيد الله تعالى، وإني أنتظر بها القضاء[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٣ ص٥٤ ص٨٠.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد: ص١٦٦ وفيه: أمرها إلى ربها.

فعن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه، فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام، وإني وإني. قال: وما ذاك. قال: تزوجني فاطمة، فسكت عنه أو قال: فاعرض عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر. فقال: هلكت وأهلكت، قال: وما ذاك قال: خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني. قال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأتى عمر النبي ﷺ فقعد بين يديه، فقال يا رسول الله ﷺ قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام، وإني وأني. قال: وما ذاك. قال: تزوجني فاطمة، فأعرض. فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها[1].

وعن علي عليه السلام قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة إلى رسول الله ﷺ فأبى رسول الله ﷺ عليهما. فقال عمر: أنت لها يا علي. قال: مالي من شيء إلا درعي وجملي وسيفي. فتعرّض عليٌ ذات يوم لرسول الله ﷺ فقال: يا علي، فهل لك من شيء. قال: جملي ودرعي ارهنهما. فزوجني رسول الله ﷺ فاطمة، فلما بلغ فاطمة ذلك بكت. فدخل عليها رسول الله ﷺ فقال: مالك تبكين يا فاطمة، والله أنكحتك أكثرهم علما وأفضلهم حلما وأقدمهم سلما. وفي لفظ أولهم سلماً[2].

وعن أبي بريدة عن أبيه قال نفر من الأنصار لعلي: عندك فاطمة. فأتى رسول الله ﷺ فقال: ما حاجة ابن أبي طالب قال: يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله فقال: مرحباً وأهلا لم يزد عليهما. فخرج علي على أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه. فقالوا: ما ورائك. قال: ما أنه قال لي مرحباً وأهلاً. قالوا:

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٨، الصواعق المحرقة: ص١٤١، كنز العمال: ج١٢ ص١١٢.

(٢) كنز العمال: ج١٣ ص١١٤ ح٣٦٣٧٠.

يكفيك من رسول الله إحداهما، أعطاك الأهل وأعطاك المرحب[1].

وعن حجر بن عنبس قال: خطب علي رحمة الله عليه إلى رسول الله ﷺ فاطمة فقال: هي لك يا علي[2].

عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي.

وروي عن النبي ﷺ أن الله تعالى أمرني، أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، فدعا ﷺ جماعة من أصحابه. فقال: فاشهدوا إني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي. ثم دعا بطبق بسر، ثم قال: انتهبوا فانتهبنا ودخل علي فتبسم النبي ﷺ في وجهه. ثم قال: إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك. قال: قد رضيت بذلك يا رسول الله. فقال: جمع الله شملكما وأعز جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيراً طيباً. فقال أنس فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب[3].

وعن ابن عباس قال لما زوّج رسول الله ﷺ فاطمة من علي عليه السلام قلت يا رسول الله، زوجتني من رجل فقير ليس له مال. فقال لها رسول الله ﷺ: أما ترضين أن الله تعالى اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك، والآخر زوجك[4].

وقال رسول الله ﷺ لفاطمة عليها السلام: زَوَّجتُكِ خير أهلي، أعلمهم علماً

---

(١) الصواعق المحرقة: ص١٦٢، مسند فاطمة: ص١٨٥ ح٢٠٥، أم أبيها في صحاح المسلمين: ص١٢٧ - ١٣٥.

(٢) مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٧، مسند فاطمة ص١٠٧ ح٦٤، أم أبيها في صحاح المسلمين ص١٣٠.

(٣) الصواعق المحرقة: ص١٦٢، مسند فاطمة الزهراء: ص١٨٥ ح ٢٠٦.

(٤) مسند فاطمة الزهراء: ص١٠٩ ح٦٧ وفيه «والآخر بعلك»، أم أبيها في صحاح المسلمين: ص١٥٣.

وأفضلهم حلْماً وأولهم إسلاماً[1].

وقال رسول الله ﷺ: «أما علمت أن الله عز وجل اطلع على أهل الأرض، فاختار منهم أباك، فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصياً. قال: لفاطمة عليها السلام[2].

قال عمر بن الخطاب: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها احب إليَّ من أن أعطي حمر النعم. قيل: وما هي؟ قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر[3].

وما ذكر من إقدام علي عليه السلام بأن يخطب بنت أبي جهل، عدو الله المعلن بكفره وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ فإنه حديث مفتعل موضوع، أرادوا بذلك الحط من منزلة رسول الله ﷺ ومنزلة علي عليه السلام ومنزلة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهذا ما ذكره صحيح البخاري ومسلم وغيرهما.

فذكر في الصحيحين، عن المسور بن مخرمة قال: إنَّ علياً خطب بنت أبي جهل. فسمعتْ بذلك فاطمةُ. فأتتْ رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك إنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحٌ بنت أبي جهل. فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تَشَهَّدَ يقول: «أمَّا بعد: أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدَّثني وَصَدَقني، وإنَّ فاطمة بضعة مني، وإني أكره أن يسوءَها، والله لا تجتمع بنت

---

(١) مجمع الزوائد: ج٩، كنز العمال: ج١٣ ص١٣٥ ح٣٦٤٢٣، مسند فاطمة الزهراء: ص١١٠ ح٦٨ و ص١٥٥ ح١٥٢ وفيه أمتي بدل أهلي.

(٢) مسند فاطمة الزهراء: ص١٠٩ ح٦٦، كنز العمال: ج١١ ص٦٠٤ ح٣٢٩٢٣.

(٣) كنز العمال: ج١٣ ص١١٠ ح ٣٦٣٥٩ ص١١٦ ح ٣٦٣٧٦، أم أبيها: ص١٥٢.

رسول الله ﷺ وبنت عدوٍّ الله عند رجل واحد».

فترك علي الخطبةَ، رعاية لها، فما تزوج عليها ولا تسرّى، فلما توفيت. تزوّج وتسرَّى رضي الله عنهما[1].

وروي أيضاً أن المسور بن مخرمة حدّثَهُ أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلِّق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني، يريبُني ما رابها، ويُؤذيني ما آذاها»[2].

هذه الأحاديث وأمثالها، منشأها المدرسة الأموية في الدهقنة والسياسة، والتي كان دأبها المستمر هو هدم أركان الدين والإساءة إلى أعلامه الكبرى، حيث أن جوهر هذه الأحاديث، لا ينسجم مع مسار الشريعة الإسلامية، حيث أن الإسلام يحرم زواج المسلم من الكافرة، وهذا ما يدل على أن هذه الأحاديث، محض افتراء، وكذب على الرسول الكريم ﷺ ولا ريب أن الدوافع موجودة والأسباب كثيرة، فلا تخلو الصحاح من الروايات الإسرائيلية، سيما صحيحي البخاري ومسلم ناهيك عن الحقد الدفين، والعداء المستأصل، لبني هاشم وآل بيت النبي عليهم السلام.

---

(١) صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦٤ باب ذكر أصهار النبي ﷺ و ص١١٣٢ ح٢٩٤٣، صحيح مسلم: ج٥ ص٥٥ ح٤٤٩، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها السلام، سير أعلام النبلاء: ج٣ ص٤٢٥، مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠-٦ وفيه وفي الحديث زياده قال: فقال النبي ﷺ: «لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله تحت رجل»، هذا دليل على اختلاف الحديث، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٦ ح٣٤٢١٢.

(٢) صحيح مسلم: ج٥ ص٥٣ ح ٢٤٤٩، صفوة الصفوة: ج٢ ص١٣، كنز العمال: ج١٢ ص١٠٦ ح٣٤٢١٣، الغدير: ج٧ ص٢٣١ وقد ذكر مصادر الحديث.

ناهيك عن مخالفة هذه الأحاديث للقرآن الكريم، وإن الرؤية فيها هي ما صرح به الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله: خطب النبي صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله.

وعن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[1].

ونسوق دليل آخر على اختلاف حديث بنت أبي جهل، بأن الحاكم النيسابوري ذكر في كتابه: عن المسور بن مخرمة مقالة النبي صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني»، ولم يذكر خطبة علي عليه السلام بنت أبي جهل[2].

إن الكذب والبهتان في مثل هذه الأحاديث التي وضعت من أناس يجهلون الموازين الشرعية، وقعوا من خلالها في افتضاح مشين أمام أجيال المسلمين، فأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فإن التناقض جلي في حديث عائشة، الذي نقله البخاري ومسلم عنها، حول خطبة علي عليه السلام لجويرية بنت أبي جهل هشام بن المغيرة، حيث ورد فيه. كان علي عليه السلام قد خطبها، فجاء بنو هاشم يستأمرن - أي يستأذنون - رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك، فلم يأذن لهم أن يزوّجوه، وأسلمت جويرية، وبايعت. وتزوجها عتاب أن أسيد، ثم تزوجها أبان بن سعيد بن العاص، فتبين من خلال الحديث، أنها كانت مشركة عندما خطبها علي عليه السلام وهذا لا ينسجم مع الشريعة الإسلامية التي تحرم الزواج من الكافرة، وإن ذلك لا يتناسب مع مقام علي عليه السلام وهو يعسوب الدين بنص حديث النبي صلى الله عليه وآله كيف

---

(١) الأصول من الكافي: ج١ ص٦٩.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٤.

يقدم على مثل هذا، وعنده سيدة نساء العالمين، بل إن الذي أرادوه من وراء ذلك، الحط من منزلته عليها السلام ومنزلة البيت النبوي.

فحديث بنت أبي جهل، وضع مقابل الحديث النبوي: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ويغضبني ما أغضبها»[1].

وقد أعلم النبي صلى الله عليه وآله ابن عباس، ما يصنع شرار أمته، بأهل بيته، حتى بكى رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم، وعلى ابنته فاطمة عليها السلام.

عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة. بكى حتى بلّتْ دموعه لحيته. فقيل له يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: أبكي لذريتي، وما تصنع بهم شرار أمتي من بعدي، كأني بفاطمة ابنتي، وقد ظلمت بعدي، وهي تنادي: يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي[2].

وإن حديثه صلى الله عليه وآله فاطمة بضعة مني، إشارة إلى هجوم القوم على دار فاطمة عليها السلام حتى أن عمراً قال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن، أو لأحرقنها على من فيها. فقيل: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة. فقال: وإن[3].

ورفضت السيدة فاطمة عليها السلام اعتذارهما وندمهما لما هجما على دارها، وما تسببت من ذلك الهجوم من إحراق الدار وكسر ضلعها عليها السلام وإسقاط جنينها، فذكرت لهما حديث أبيها صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعة مني...» فأصدقاها القول.

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص٥٤ ٢٤٤٩، سنن الترمذي: ج٥ ص٦٩٩ ح ٣٨٦٩، مسند فاطمة: ص١٤٣ ح١٢٣، كنز العمال: ج١٢ ص١١١ ح٣٤٢٤١، الإتحاف بحب الأشراف: ص٢٣، تاريخ مدينة دمشق: ج٣ ص٥٦ ح ٥٩٨.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد: ص٢٩٦.

(٣) الإمامة والسياسية: ج١ ص١٢.

قالت إنكم أسخطماني ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكونكما إليه[1].

وحين اغتصاب خلافة علي عليه السلام من قبلهم، حاولوا إطراء الشرعية لذلك، دون إراقة ماء الوجه. فجاءوا بحفنة من صنّاع الحديث، أمثال أبي هريرة، فأوجعه عمر بن الخطاب ضرباً، لوضعه الحديث عن لسان رسول الله ﷺ والذي يحط من منزلة أهل البيت عليهم السلام مقابل الأحاديث المشهورة المتواترة عن رسول الله ﷺ في مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام[2].

فنسوق هنا بعض الأحاديث التي تخالف جوهر الشريعة، والتي وردت في كتب الأحاديث منها:

عن النبي ﷺ: «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم، إلا رداء الكبرياء عن وجهه في جنة عدن».

وعن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنةَ... فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

وقال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[3].

ومن الأحاديث المختلفة الموضوعة في صحاح المسلمين المخالفة لكتاب الله والسنة النبوية والعقل.

---

(١) نفس المصدر: ص١٤، أعلام النساء: ج٣ ص٣١٤ نقلاً عن كتاب فاطمة من المهد إلى اللحد، الغدير: ج٧ ص٢٢٨.

(٢) الإتيان بمصادر عن الموضوع: (ضرب عمر لأبي هريرة).

(٣) سورة القيامة: الآيات ٢٢-٢٣.

لقد ذهبت المجسمة وهي طائفة من المسلمين برؤية الله تعالى يوم القيامة كما ذكره البخاري.

وعن أبي هريرة قال: قال أناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال ﷺ: فإنكم ترونه يوم القيامة يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيب. فيقول ﷺ: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزل يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها[1].

وهذا الذي جاء به البخاري ومسلم في رؤية الله سبحانه، يشكل مخالفة للنص القرآني في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[2].

فلو طرحنا السؤال على أي باحث أو مثقف هل فكرت يوما ولو في خيالك بان ربك يضحك؟ مثلما نضحك فكيف سيكون جوابه؟ والضحك صفة الحيوان

---

(١) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٣ ح٦٢٠٤ - كتاب الرقاق، مختصر الحديث، صحيح مسلم: ج١ ص٢١٣ ح٢٩٩ - باب معرفة طريق الرؤية وفيه: فإذا ضحك الله منه.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

الناطق (الإنسان) كما قال به علماء المنطق، هكذا يطرح البخاري ومسلم الخرافات والبدع والأساطير في كتبهم، وللأسف نجد من يقدس هذا الطرح، لأن المسلمين ضحية صراع الأمم الغابرة، وزاد معاوية بن أبي سفيان رأس الدولة الأموية، بوضع منهج أموي متكامل في وضع الأحاديث، مقابل منهج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأي حديث قاله رسول الله يعظم فيه أهل بيته عليهم السلام.

فقد قال رأس الكفر معاوية، إن شيعة علي عليه السلام تتختم باليمين، فأنا أتختم باليسار، ومع أن التختم باليمين من علامات المؤمن، كما هو وارد في الحديث الشريف حيث روي عن أبي الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[1].

وحديث النبي صلى الله عليه وآله «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة، فليأتي من الباب». حديث متواتر ومشهور، فمن أعيته شهرته عن طمسه، من جمهرة النساجين والوضاعين. قام بترقيع الحديث وتحويره فقالوا: أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها، روي ذلك عن ابن مسعود بدون إسناد، فهل سمعت أن للمدينة سقف أو أساس أو حيطان، وقد تُعرِضْ مثل هذا الحديث على أطفال اليوم، فتلقى لديهم استهجانا منه.

وروي عن أنس مرفوعاً: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومعاوية حلقتها. قال في المقاصد: وبالجملة فكلها ضعيفة وألفاظ أكثرها ركيكة[2].

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٦ ص٥٢ ح١٢٣.

(٢) الغدير: ج٧ ص١٩٨. قال السيد محمد درويش الحوت في أسنى المطالب ص٧٣: أنا مدينة العلم، وأبو بكر أساسها، وعمر حيطانها. وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم، لا سيّما مثل ابن حجر الهيثمي، ذكر ذلك في الصواعق والزواجر، وهو غير جيد من مثله. وقد ذكر المؤلف مصادر الحديث.

وقال علي رضي الله عنه : بينما أنا مع رسول الله ﷺ إذا طلع أبو بكر وعمر. فقال: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين. لا تخبرهما يا علي[1].

وعن علي عليه السلام أن النبي ﷺ نظر إلى أبي بكر وعمر، فقال: هذا سيدا الكهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين المرسلين. لا تخبرهما يا علي[2].

فلا يوجد حديث أكثر فضيحة من هذا، فقد أخذوه من حديث النبي ﷺ بحق فاطمة عليها السلام «فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين» وأضافوا له: «لا تخبرهما يا علي» من أجل أن يزيدوا فضيلة عليها، ففضحهم الله.

وعن أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ بين أبي بكر وعمر. فقال: هكذا نبعث يوم القيامة[3].

وراجع حديث الشيطان يخاف من عمر[4]، أيعقل هذا! المجنون يرفض هذا الكلام فما بالك العاقل.

ونظل نعيش هذه الروايات الإسرائيلية التي دسها فينا اليهود، أمثال كعب الأحبار وغيره، ومثلها مكتوب على أبواب الجنة هؤلاء ثلاثة.

ناهيك أن لا كهول في الجنة كما أخبر في ذلك رسول الله ﷺ في قصة المرأة التي قال لها ﷺ: لا يدخل الجنة عجوز. فبكت فقال ﷺ: بل يتحولن إلى شابات وشباب أن هذا الحديث وضع مقابل حديث رسول الله ﷺ بحق الحسن

---

(١) تاريخ بغداد: ج٥ ص١٥ ح٢٣٦٥، وص٣٠٧ ح٢٨١٨، وفيه: وإن أبا بكر في الجنة مثل الثريا في السماء.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج١-٢ ص٥١٧ وص٤٦٨، مجمع الزوائد: ج٩ ص٥٦ ضعفه النسائي وقال: لا نعلم رواه عن عبد الله بن عمر وهو متروك وفيه عابس وهو ضعيف.

(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص٥٦ وفيه خالد بن يزيد العمري وهو كذاب.

(٤) مجمع الزوائد: ج٩ ص٧٣.

والحسين عليهما السلام بأنهما سيدا شباب أهل الجنة.

وعن أنس قال: لما كان ليلة الغار. قال أبو بكر: يا رسول الله دعني أدخل قبلك فإن كان حية أو شيء كانت لي - بي - قبلك. قال: ادخل. فدخل أبو بكر، فجعل يلتمس بيديه كلما رأى جحراً قال بثوبه فشقه، ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي جحر موضع عَقبه عليه. ثم أدخل رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أصبح قال صلى الله عليه وآله: فأين ثوبك يا أبا بكر. فأخبره بالذي صنع[1]، أي أساس للصحة في مثل هذه القصة؟

ومثله عن ابن عمر قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال. فنزل عليه جبريل، فقال: يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره؟ فقال: يا جبريل انفق ماله عليَّ قبل الفتح قال: فإن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: قل له أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام. ويقول لك أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أسخط على ربي، أنا عن ربي راضٍ أنا عن ربي راضٍ[2].

لو قرأ طفل مثل هذه الرواية أيعقلها، كيف إذن تصل بنا قبول هذه الاختلاقات البائسة، والتي هي من مهازل العقل البشري التي تستهزئ بعقلانية الإسلام وبعظمة الله تعالى وجبرئيل والرسول صلى الله عليه وآله، فمن هذا الكثير الكثير في صفحات البخاري ومسلم، وما هي إلا مؤامرة لهدم عرى الإسلام وطمس الحديث النبوي الشريف على يدي البخاري ومسلم، فالأولى بالمسلمين أن يعرضوا عن هذا الهراء الذي احتوته صحاحهما.

---

(١) صفوة الصفوة: ج١ ص٢٤٠.

(٢) نفس المصدر: ج١ ص٢٤٩.

الضحية الأولى

الأنبياء وأوصيائهم دائماً محط استهداف أقوامهم وجهالاتهم، لتعارضهم مع قيم الرسالات التي أتوا بها، والتي كانت تنهى وتدعوا إلى تغيير السلوكيات الخاطئة التي اعتاد عليها تلك الأقوام، وكانوا عليهم السلام في طليعة الصراع والمواجهة مع أعدائهم، وفاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله وزوجة الوصي وأم لسيدي شباب أهل الجنة، تبوّءتْ مكانا ساميا رائداً في الدفاع عن الرسالة الإسلامية، ناهيك عن كونها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. فكان الإسلام نصب عينيها، ولا بد من الدفاع عنه في كافة مراحله، سيما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حيث ظهرت معالم الانحراف الأكبر عن جادة الإسلام، والذي نوَّه عنه القرآن والنبي صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾[1].

وقول النبي محمد صلى الله عليه وآله: «يَردُ على الحوض رجال من أصحابي، فيملَّؤون عنه. فأقول: يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٧ ح ٦٢١٤ - باب في الحوض - فيملئون: يمنعون ويطردون ارتدوا - رجعوا عن الهداية والحق - القهقرى: الرجوع إلى الخلف وهو تأكيد للجملة قبلها نقلا عن البخاري. شرح النهج، العقد الفريد: ج٤ ص٢٤٢، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٣.

فحاصرت الانحراف في وكره، في سقيفة بني ساعدة وزلزلته كاشفة اللثام عن الوجه اللاشرعي لما يحدث، والعودة بالمسلمين إلى عهد جاهلية أبي سفيان وأبي لهب وأبي جهل، فكانت تنطق وتحاجج في خطبتها بآيات الله عز وجل، ولكن السقيفة كانت اغتصبت الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام ومن فاطمة عليها السلام حقها من الميراث والنحلة، وهي فدك.

ونسجوا على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً، يوهم المسلمين، ويعطي لهم شرعية الفعل «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» ولكن فاطمة عليها السلام كانت لهم لمؤامراتهم بالمرصاد، حيث وردت مسجد أبيها، قائلة لهم: «يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فريّاً، أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم» إذ يقول: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ﴾ حين اغتصبت الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام تجمع المعارضون معه من بني هاشم وطلحة والزبير وبعض الأنصار ورجال من المهاجرين، في دار فاطمة عليها السلام لأنها بنت رسول الله ومنزلها منزله، رأى الخليفة الذي نصب نفسه على المسلمين الأمر فأمر عمر بن الخطاب، بإحراق بيت فاطمة عليها السلام لامتناع من فيه عن البيعة. فجاءهم عمر مناديا أن يخرجوا، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب. وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقن على من فيها، فقيل يا أبا حفص أن فيها فاطمة. فقال: وإن!

فقالت السيدة فاطمة عليها السلام كلمتها المشهورة وكان التاريخ سباقاً لتدوينها في سجل الخلود: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق عليّ ولدي!»[1].

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١ ص١٢، العقد الفريد: ج٤ ص٢٤٢، شرح النهج ج ص٥٦، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٣.

قال رسول الله ﷺ : «من ظلم أهل المدينة وأخافهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل من صرف ولا عدل»[1].

وقال رسول الله ﷺ : «لكي نبي حرم وحرمي المدينة»[2].

وقال ﷺ : «من أخاف أهل المدينة أخافه الله»، وقوله ﷺ : «من أخاف أهل المدينة أخاف ما بين جنبي»[3].

وقال رسول الله ﷺ : «من آذى أهل المدينة آذاه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل»[4].

وقال رسول الله ﷺ : «إن لكل نبي حرماً وحرمي المدينة اللهم إني احرمها بحرمتك لا يوافيها محدث ولا يختلي خلاها ولا تؤخذ لقطتها إلا لمنشد»[5].

وقال رسول الله ﷺ : «من أراد أهل هذه البلدة بسوء أذابه الله في النار كما يذوب الملح في الماء»[6].

إن هذه الأحاديث لمن تعرض لأهل المدينة بسوء فكان مصيره كما تبينه الأحاديث فما بالك بالقوم الذين هجموا على دار النبوة والإمامة دار علي وفاطمة عليها السلام بأمر أبي بكر حين قال لعمر: آتيني بعلي بأعنف العنف. والتهديد بحرق الدار، وإن كان فيها فاطمة! فهل ينفع الندم فقد قال أبو بكر أمام الملأ: أي ندمت من ثلاث واحدة: ليتني لم أكشف بيت فاطمة. ولكن الدفاع عنهم هو وقوع

---

(١) كنز العمال: ج١٢ ص٢٤٧ ح٣٤٨٩٠.

(٢) كنز العمال: ج١٢ ص٢٣٧ ح٣٤٨٣١.

(٣) كنز العمال: ج١٢ ص٢٣٧ ح٣٤٨٣٧.

(٤) كنز العمال: ج١٢ ص٢٣٧ ح٣٤٨٣٦.

(٥) كنز العمال: ج١٢ ص٢٤٢ ح٣٤٨٦٤.

(٦) كنز العمال: ج١٢ ص٢٤٢ ح٣٤٨٦٤.

في دائرة الظلم فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[1] وأي ظلم اكثر من ترويع بنت رسول الله والتهديد بحرق دارها وولدها.

بعد رحيل النبي ﷺ اجتمعت الصحابة في سقيفة بني ساعدة، كما هو معروف. ونشب بينهم نزاع، كل يريد الأمر إلى نفسه، فرأى أبو بكر ذلك النزاع على خلافة النبي ﷺ فأراد أن ينهيه. فقال في جمع من الأنصار: وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش، هم أوسط العرب داراً ونسباً، ولقد رضيت لكم هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة. فقالت الأنصار أو بعضهم لا نبايع إلا علياً[2]. وحين أنهى أبو بكر كلامه. قام منهم رجل فقال: أنا جذيلها المحك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير. فارتفعت الأصوات واللغط؛ فلما خفت الاختلاف. قال عمر قلت لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعه[3].

وقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبينا من خيركم، ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، ولنا بذلك الحجة الظاهرة، من ينازعنا سلطان محمد ﷺ ونحن أولياؤه وعشيرته[4].

وقال أبو بكر لعلي رضي الله عنه: أكرهت إمارتي[5].

إن لفظ الإمارة في قول أبي بكر، يدل على السلطان وليست الإمامة، وهذا تخطيط في جعلها إمبراطورية، شأنها شأن إمبراطورية كسرى أو هرقل، زعامة

---

(١) سورة هود: الآية ١١٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٣، الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٠.

(٣) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٥٦.

(٤) تاريخ الطبري: ج ص٤٥٦، الكامل في التاريخ ج٢ ص١٠ - ١٥.

(٥) أنساب الأشراف: ج٢ ص٢٦٩.

دنيوية، وكذلك تدل المقالة، أن عليا لم يرتض إمارة أبي بكر.

وعن ابن عباس قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته. وقال ائتني به بأعنف العنف، فلما أتاه جرى بينهما كلام. فقال علي عليه السلام: «احلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤمرك غداً، وما تنفس على أبي بكر هذا الأمر، ولكن أنكرنا، تركتم مشاورتنا، وقلنا إن لنا حقاً لا يجهلونه»[1].

إن النص بخلافة علي عليه السلام كان موجوداً، فعليه لا شرعية للشورى أو الانتخاب، وتعتبران باطلة، فلا اجتهاد حتى يترتب عليه (اجتهد فاخطأ) وبطلان التأويل، مع غياب الديموقراطية بمقالة أبي بكر لعمر أئتني بعلي بأعنف العنف، رغم مقالة عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق. والتاريخ يخالفها الرأي والأحاديث تنفيها برقة أبي بكر.

ومقالة عمر لابن عباس: لا تجتمع الخلافة والنبوة لكم يا بني هاشم، النبوة لكم والخلافة لنا. قال عمر لابن عباس: يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بجحاً بجحاً.

إن الإسلام اليوم هو ما ورث عن إسلام الملوكية والهيمنة، وإسلام الفتوحات في النهب والسطو والقتل وهتك الأعراض، تحت مسميات السبايا والجواري.

نحن الآن بأمس الحاجة إلى نظرة انتقادية جديدة لذلك التاريخ، لنخرج بتجديد لنظرتنا وعقيدتنا تجاه موضوع الخلافة الحقة.

وذلك بمراجعة أوراق التاريخ بدقة، ويُحكم عقل ومنطق، حتى نجد الحقيقة

---

(١) أنساب الأشراف: ج٢ ص٢٦٩، راجع النص في نهج البلاغة.

الكبرى في أن الخلافة كانت لعلي عليه السلام وبنيه، وأن السيدة فاطمة عليها السلام كانت الضحية الأولى في دفاعها عن النبوة والإمامة (الخلافة) حين كشفت مؤامرة الذين تربعوا على كرسي الخلافة بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله، وكم نحن بحاجة إلى توحيد الصف الإسلامي، بالانضواء تحت منهجية أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله [1].

(١) تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٨٨.

فاطمة عليها السلام والميراث

بعد رحيل النبي ﷺ كانت حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام عبارة عن مواقف وبسالة وتحدي، ممزوجة بمعاناة شديدة وقساوة بدوية وظلم فاحش، كل ذلك حل بها، وإن التمرد الواضح عن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ هو الذي سبب هذه المعاناة، وقد سطّر التاريخ للسيدة فاطمة عليها السلام مواقفها البطولية بتحد صارخ، فنطقت بكلام الله واحتجت على القوم بآياته، التي لا تقبل التأويل والاجتهاد، حيث فضحت المتسترين باسم الدين والمتاجرة به، فتكشفت المؤامرات الجاهلية بعد رحيل النبي ﷺ وتهاوت تحت قوة الحق في منطق فاطمة عليها السلام.

وبرز النفاق عياناً للمسلمين، بعد تسترهم في حياة النبي ﷺ حتى نزلت سورة (المنافقون) بحقهم، وراحت الأقلام المسمومة في الأيادي اليهودية، بتحريف الإسلام، وصناعة الأحاديث في علب جاهزة قد مهدت لها سلفاً، في مقابل ذلك جرى حرق الأحاديث النبوية، التي كانت تصرح بمناقب وفضائل أهل بيت النبي ﷺ تمهيداً لنضوج المؤامرة، كل ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

روى عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه عليهم السلام أنه لما أجمع أبو بكر وعمر[1] على منع فاطمة فدكاً، وبلغها ذلك، لاثت[2] خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها[3]، وأقبلت في لمة[4] من حفدتها ونساء قومها، وتطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أنَّت أنَّةً أجهش القوم لها بالبكاء، فارتجّ المجلس ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فعاد القوم في بكائهم، فلما امسكوا، عادت في كلامها. فقالت:

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أحدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها. . ثم قالت: أيها الناس اعلموا أني فاطمة وأبي محمد، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا افعل ما افعل شططا ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فإن تعزوه وتعرفوه، تجدوه أبي دون نساءكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزي إليه، فبلّغ

---

(١) اجمع أبو بكر وعمر: أي احكما النية والعزيمة عليه.

(٢) لاثت: أي عصبته وجمعته لاث العمامة على رأسه يلوثها لوثا أي شدها وربطها.

(٣) الجلباب: بالكسر - يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة والثوب كالمقنعة يقضي بها المرأة رأسها وصدرها وظهرها والأدل هنا أظهر.

(٤) اللمة: بضم اللام وتخفيف المسلم أي في جماعة من نسائها.

الرسالة، صادعاً بالنذارة مائلاً عن مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم آخذاً بأكظامهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الأصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفُهْتم بكلمة الإخلاص في نفر البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجدداً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال. فلما اختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق، وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطّلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم، فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضبا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوض الفتنة ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

فهيهات منكم وكيف بكم وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهره وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة وزواجره لايحة وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبه عنه تريدون أم بغيرة تحكمون ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها وتهيجون جمرتها وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي وإطفاء أنوار الدين الجليّ وإهمال سنن النبي الصفي ﷺ تشربون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء، ويصير منكم على مثل حزّ المدى ووخز السنان في الحشاء، وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلان تعلمون؟! بل قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.

أيها المسلمون أأُغلب على إرثي:

يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾. وقال فيما اقتص من خير يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ وقال: ﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ وقال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ وقال: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وزعمتم: أن لا حضوة لي ولا إرث من أبي ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم اعلم

بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد ﷺ والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم»[1].

كل ذلك لتكشف أقنعة القوم ومخططاتهم وتواطئهم وانقلابهم، من غصب الخلافة والإمامة والوصاية، ومنع حقها من الإرث والنحلة وفدك.

هذا مقتطف من خطبتها في مسجد أبيها رسول الله ﷺ لو تمعن القارئ الكريم بتعقل وتفقه وتبصر، يتضح له مخالفة القوم للقرآن الكريم، وتحديهم للسنة النبوية، وكذبهم الصريح في اختلاف حديث (لا نورث) عن لسان رسول الله ﷺ وقد قال رسول الله ﷺ: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[2]، وينكشف له أيضاً مظلومية السيدة فاطمة عليها السلام وهظم حقها من خلال خطبتها، لكونها تنطق عن لسان رسول الله ﷺ وتتلو آيات الله تعالى، وهذا دليل لا نكران فيه على بطلان مدرسة السقيفة. لكونها صادقة عليها السلام لقول أبي بكر: وأنت يا خيرة النساء وابنة خير الأنبياء صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك.

وقال أيضاً: صدق الله وصدق رسوله، وصدقتْ ابنته، أنت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين وعين الحجة، لم أُبعد صوابك ولا أنكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك قلّدوني ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت[3].

---

(١) الاحتجاج: ص٩٧.

(٢) فردوس الأخبار: ج٤ ص١٢٩ ح٥٩٠٧، أسد الغابة: ج١ ص٣٠٧ وج٤ ص٢٦، تاريخ بغداد: ج٢ ص١٨٤ رقم ٥٩٦ وج٣ ص٢٣٨ رقم ١٣١٦.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٣٢.

واعتراف القوم بكلامها، لدليل على صدق خطبتها الـذي هـو عـين الحـق، وهو كلام الله ورسوله ﷺ.

قال الشعبي: لما منعت ميراثها، لاثت خمارها على رأسـها، وحمـدت الله تعالى، وأثنت عليه، ووصفت رسول الله ﷺ بأوصاف. فكان مما قـالت كـان كلما فغرت فاغرة من المشركين فاها أو نجم قرن من الشـياطين، وطـئ صماخـها بأخمصه، وأخمد لهيبها بسيفه، وكسر قرنها بعزمته، حتى إذا اختار الله لـه دار أنبيائه ومقـر أصفيـاؤه وأحبائـه، أطلعـت الدنيـا رأسـها إليكـم، فوجدتكـم لـها مستجيبين ولغوروها ملاحظين، هذا والعهد قريب والمدى غير بعيد والجـرح لـم يندمل، فأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم.

ويا ابن أبي قحافة، أترث أباك ولا أرث أبي، ودونكمـا مرحولـة مذمومـة، فنعم الحكم الحق والموعد القيامة، ولكلّ بناء مستقر وسوف تعلمون، ثم أومأت إلى قبر رسول الله ﷺ وقالت:

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة ... لـو كنـت شاهدها لـم تكثر الخطب

أنـا فقدنـاك فقـد الأرض وابلـها ... واختلّ قومك فاشـهدهم ولا تغـب

إنـا رزينـا بمـا لـم يـرز ذو شـجن ... مـن البريـة لا عجـم ولا عـرب[1]

ثم أنها اعتزلت القوم، ولم تزل تندب رسول الله ﷺ وتبكيه، حتى لحقت به.

وعن عائشة: أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكـر بعـد وفـاة رسول الله ﷺ أن يَقْسمَ لها ميراثها، ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه. فقال أبو بكر: إن رسولَ الله ﷺ قـال: لا نُـورَثُ مـا تركنـاه صدقـة. فَغَضِبـتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فَهَجَرتْ أبا بكر، فلم تزل مهاجرته، حتى توفيت،

---

(١) الاحتجاج: ص٩٧.

وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها، مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك وصدقة بالمدينة..[1]

وعن عائشة قالت: إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ فيما أفاء الله رسوله. وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي ﷺ بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة[2]. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت[3] فاطمة عليها السلام على أبي بكر، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر.

وعن عائشة: أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر: تسأله ميراثها من النبي ﷺ ممَّا أفاء الله على رسوله ﷺ تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: لا نُوَرثُ ما تركناه فهو صدقة[4].

وعن عائشة: إن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر، يطلبان ميراثهما من رسول الله، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر. فقال لهما أبو بكر: أما إني سمعت رسول الله يقول: لا نورث، ما تركناه فهو صدقة، إنما يأكل آل

---

(١) صحيح البخاري: ج٣ ص١١٢٦ ح ٢٩٢٦ باب فرض الخمس.

(٢) تذكرة الخواص: ص٢٨٥، مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٨٥ ح٤١ سير أعلام النبلاء: ح١ ص٤٨٨ وفيه: فغضبت وهجرت أبا بكر حتى توفيت، حلية الأولياء: ج٢ ص٤٣ وفيه: دفنها - أي علي عليه السلام - ليلاً.

(٣) وجدت: أي غضبت على أبي بكر وفي الحديث «من أغضبها فقد أغضبني».

(٤) صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦٠ ح٣٥٠٨ - باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

محمد في هذا المال، وإني والله لا ادع أمراً رأيت رسول الله إلا وضعته. قال: فهجرته فاطمة، فلم تكلمه في ذلك، حتى ماتت.

فدفنها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبو بكر؛ وكان لعلي وجه من الناس حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة، انصرفت وجوه الناس عن علي، فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله ﷺ ثم توفيت.. قيل للزهري: افلم يبايعه علي ستة أشهر. قال: لا، ولا أحد من بني هاشم[1].

عن محمد بن عمر بسنده، قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر، تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما علي. فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: لا نورث، ما تركناه صدقة، وما كان النبي ﷺ يعول فعليّ، فقال علي عليه السلام: «ورث سليمان داود» وقال تعالى عن زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ فقال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم ومثلما أعلم. فقال علي عليه السلام: هذا كتاب الله ينطق. فسكتوا وانصرفوا[2].

لقد احتج علي عليه السلام بآيات الله تعالى، على أبي بكر. فسكت أبو بكر وانصرف. فعلي عليه السلام جعل كتاب الله، هو الفصل. فتبين للعيان، إن عليا عليه السلام كان في جانب الحق والصدق، كما قال النبي ﷺ: علي مع الحق والحق مع علي. فكان جواب أبو بكر: إنصرافه وسكوته، وذلك لمخالفته للقرآن الكريم.

فكيف يفتري على رسول الله ﷺ وهو يتزعم خلافة المسلمين بقوله لا نورث ثم أليست السيدة فاطمة عليها السلام صادقة عند رسول ﷺ وعند المسلمين وعنده

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٨، العقد الفريد: ج٤ ص٢٤٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٢ ص٣١٥، مسند فاطمة: ص٧١ ح٢٧.

أيضاً؛ عندما احتجت عليه بالقرآن الكريم، فلم يصغي إليها، بل ردَّ عليها بالحديث المختلق: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً.

ولما طالبت السيدة فاطمة عليها السلام من أبي بكر، حقها من فدك والعوالي، طالبها بالبينة على ما ادعت، فجاءت بأم أيمن وأسماء بنت عميس مع علي عليه السلام فشهدوا بذلك؛ فكتب لها أبو بكر، فبلغ عمر، فأخذ الصحيفة وبصق فيها ومزقها، فحلفت أن لا تكلمه، وباتت ساخطة عليه ودعت عليه بقولها بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي. مع أن أبا بكر، أعطى جابر بن عبد الله، عطية. ادعاها على رسوله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير بيّنة.

عن هاشم الكناني بسنده: لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أبو بكر - لما جاءه مال من البحرين -: من كانت له على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عِدّة فليأتني. قال: فجاءه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدني، إذا أتاه مال البحرين، أن يعطيني هكذا وهكذا - وأشار بكفّيْه - فقال أبو بكر: خُذْ! فأخذ بكفيه، فَعدَّه خمسمائة درهم، فأعطاه إياها وألفاً؛ ثم جاءه ناس، كان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ كل إنسان ما كان وعده، ثم قسم ما بقي من المال، فأصاب كل إنسان منهم عشرة دراهم.

عن جابر: إن أبا بكر خطب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: من كانت له عدة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليقم. فقام جابر بن عبد الله، فقال: وعدني، إذا جاء مال البحرين حُث لي ثلاث مرات. قال: فحثا له ثلاث مرات[1].

فلو سُئل أبا بكر، لِمَ طلب البيّنة من السيدة فاطمة عليها السلام بنت رسول

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص٣١٧.

الله ﷺ لما طالبت حقها من الإرث أو فدك، ولم يطالب من جابر وأمثاله الشهود؛ بمعنى أن أبا بكر كان يشك في ادعاء فاطمة عليها السلام ولا يراها صادقة بقولهما، مع أنها بضعة النبي ﷺ وهو الصادق الأمين، فهي بضعته في الصدق والأمانة، وهذا انتهاك في قدسيتها وهي قدسية النبي ﷺ أليست فاطمة عليها السلام بهجة قلب النبي، وروحه التي بين جنبيه؛ حتى قال لها النبي ﷺ: فداها أبوها.

وأحاديث الرسول ﷺ شاهدة على أن غضب فاطمة غضب الله، ورضاها رضى الله، ومنها:

قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»[1].

عن المسور بن مخرمة: أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمةُ بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني»[2].

وذكر ابن قتيبة، في كتابه: فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنا قد أغضبناها. فانطلقا جميعاً. فاستأذنا على فاطمة عليها السلام فلم تأذن لهما؛ فأتيا علياً عليه السلام فكلماه، فادخلهما عليها، فلما قعدا عندها. حوّلت وجهها إلى الحائط. فسلما عليها فلم ترد عليها السلام فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، أغضبناك في ميراثك منه وفي زوجك. فقالت: ما بالك يرثك اهلك، ولا نرث محمداً فقال: والله إن قرابة رسول الله أحب إليَّ من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك، أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٥٤، مسند فاطمة الزهراء: ص١٤٢ ح١٢٠ و ص١٧٦ ح ١٨٦، تذكرة الخواص: ص٢٧٩، مجمع الزوائد: ج٩ ص٢٠٦، كنز العمال: ج١٣ ص٦٧٤ ح٣٧٧٢٥ و ج ١٢ ص١١١ ح٣٤٢٣٨، تاريخ مدينة دمشق: ج٣ ص١٥٦ ح٥٩٩.

(٢) صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح٣٥١٠، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

أعرفك واعرف فضلك وشرفك، وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله، إلا أني سمعت أباك رسول الله ﷺ يقول لا نورث، ما تركناه فهو صدقة. فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به. قالا: نعم فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي، فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة، فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني. قال: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ قالت: فإني أشهد الله وملائكته، أنكما أسخطماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي ﷺ لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى، من سخطه وسخطك يا فاطمة؛ ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق. وهي تقول: والله لأدعون الله عليك، في كل صلاة أصليها. ثم خرج باكياً. فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي...

قال: فلم يبايع علي (كرم الله وجهه) حتى ماتت فاطمة (رضي الله عنهما) ولم تمكث بعد أبيها، إلا خمساً وسبعين ليلة[1].

عن عائشة: أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر، تسأله ميراثها، من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نُوَرث ما تركناه صدقة» فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت - أي غضبت - فاطمة عليها السلام على أبي بكر في ذلك. قال: فهجرته فلم تكلمه، حتى توفيت، وعاشت بعد رسول

---

(١) الإمامة والسياسية: ج١ ص١٩، كيف كانت بيعة علي (كرم الله وجهه)؟.

الله ﷺ ستة أشهر، وصلى عليها علي عليه السلام وكان لعلي عليه السلام من الناس وجهة حياة فاطمة عليها السلام فلما توفيت، استنكر علي عليه السلام وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر، ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر. ثم قال علي عليه السلام لأبي بكر: ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نحن نرى لنا حقاً، لقرابتنا من رسول الله ﷺ فلم يزل يكلم أبا بكر، حتى فاضت عينا أبي بكر، فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجر - أي اضطراب واختلف - بيني وبينكم من هذه الأموال.

ثم قال علي عليه السلام لأبي بكر: ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً، فاستبد علينا به، فوجدنا في أنفسنا[1].

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي بكر قال: والذي نفسي لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي - وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة (رضي الله عنها) عن منعه إياها ما طلبت منه من تركة النبي ﷺ[2].

غضب السيدة فاطمة عليها السلام وهجرانها لأبي بكر، دليل على أن الحديث، مفتعل ومكذوب على رسول الله ﷺ، ولكونه تكذيب لنبوته ﷺ ومقالة علي عليه السلام لأبي بكر: ولكنك، استبددت علينا بالأمر، وهو اغتصاب الخلافة

---

(١) صحيح مسلم: ج٤ ص٢٩ ح١٧٥٩، باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركناه صدقة، سير أعلام النبلاء: ج١ ص٤٨٨ وفيه: فغضبت وهجرت أبا بكر حتى توفيتن تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٩ وفيه: فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر فأرسل إلى أبي بكر إن آتنا ولا يأتنا معك أحد وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر - والمصالحة ليست كالبيعة من أجل أن لا يرجع المسلمون إلى الجاهلية الأولى وحقن دماء المسلمين كما صالح الإمام الحسن إلى معاوية بن أبي سفيان.

(٢) صحيح البخاري: ج٣ ص١٣٦١ ح ٣٥٠٨، الصواعق المحرقة: ص١٧٦ باب قرابة النبي ﷺ.

وهي لعلي عليه السلام خاصة، ثم ذكر عليه السلام قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يزل يذكر ذلك، حتى بكى أبو بكر[1].

فإذا كان بكاءه صادقاً؟ فَلِمَ لم يرجع الخلافة إلى علي عليه السلام؟

وقد اعترف أبو بكر بقوله: ولقد قلدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولوددت أني وجدت أقوى الناس عليه مكاني؛ فأطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت، فلا طاعة لي عليكم. ثم بكى وقال: اعلموا أيها الناس، أني لم اجعل لهذا المكان أن أكون خيركم، ولوددت أن بعضكم كفانية. ثم قال: أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً، فإذا رأيتموني غضبت، فاجتنبوني[2].

فشرائط الإمامة والخلافة لابد أن تحمل شرائط النبوة لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[3] بأن جعل إطاعة الرسول وأولي الأمر، إطاعة واحدة، بمعنى كل من تصدى الخلافة عليه أن يحمل شرائط النبوة، والتي منها العصمة، وعدم اقترافه الذنوب والمعاصي في طول حياته، وانه منصوص عليه من قبل الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله واعتراف أبي بكر - لما تصدى لخلافة المسلمين - بعدم أهليته بقوله: ولو وددت أني وجدت أقوى الناس عليه مكاني، وهو يعلم بأن علياً عليه السلام وهو صاحب الحق، بأن الخلافة له، منصوص عليه من قبل النبي صلى الله عليه وآله في مجموعة أحاديثه صلى الله عليه وآله ثم يجعل طاعة الناس له ما دام في طاعة الله فإذا عصيت فلا طاعة لي، ولأن من شرائط الخلافة العصمة، وإقراره بأن له شيطان يعتريه مما يثبت عدم عصمته،

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١ ص٢١.

(٢) الإمامة والسياسة: ج١ ص٢٢ خطبة أبي بكر، صفوة الصفوة: ج١ ص٢٦٠.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

لأن مدرسة الخلافة لا يشترطون العصمة في الخلافة، حتى قال الزمخشري وهو من أفضل علمائهم، إلى جواز إمامة الفساق والعصاة والسرّاق، فأي عاقل يرضى لنفسه الانقياد الديني والتقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامر، من كان يفسق طول حياته[1] ثم يقول بأن لي شيطاناً يعتريني، فيقول: إذا غضبت فاجتنبوا عني.

أهذه صفات من نصَّب نفسه خليفة للمسلمين، والمطلوب من خليفة المسلمين، بأن يرشد الناس، ويهديهم إلى الطريق القويم، فبدل أن يكون رئيساً يصبح مرؤوساً، وبدل أن يكون قائداً، يتحول إلى مقود. وقد شكى علي عليه السلام في خطبته أمر الخلافة:

«أما والله، لقد تقمَّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليَّ الطير»[2].

عن أبي صالح، إن فاطمة دخلت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر أرأيت لو مُتَّ اليوم من كان يرثُك؟ قال: أهلي وولدي. فقالت: مالك ترث رسول الله صلى الله عليه وآله من دون أهله وولده! فقال: ما فعلت يا بنت رسول الله. قالت: بلى قد عمدت إلى فدك، وكانت صافيةً لرسول الله صلى الله عليه وآله فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء، فرفعته منا.

---

(١) انظر دلائل الصدق: ج٢ ص٣، التمهيد لباقلاني: ص١٨٦، بقوله: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال ولا يجب الخروج عليه واصتحبوا بالأخبار عن النبي وعن الصحابة في وجوب طاعة الأئمة وإن جاروا.. والصلاة وراء كل بدو فاجر.. وألمعهم وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك، صحيح مسلم: ج٦ ص٣٠ كتاب الإمارة وصحيح البخاري مجلد ٣ ج٩ ص٧٨ كتاب الأحكام، شرح صحيح مسلم: للإمام النووي ج١١ و ١٢ ص٤٧٨ ح ١٨٤٧ باب وجوب جماعة المسلمين.

(٢) نهج البلاغة: ص٤٨ خطبة: ٣.

فقال: لم أفعل حدثني رسول الله ﷺ أن يُطعم النبي الطَّعْمَةَ ما كان حياً، فإذا قبضه رفعها، فقالت: أنت ورسوله الله ﷺ اعلم، ما أنا بسائلتك بعد مجلسي هذا.

عن أبي الطفيل قال: لما قبض النبي ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت وريث رسول الله ﷺ أم اهله؟ فقال: لا بل أهله قالت: فأين سهمه؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا أطعم نبياً طعمة، ثم قبضه، جعلها للذين يقوم من بعده» فرأيت أن أردَّه على المسلمين. قالت: أنت وما سمعت من رسول الله ﷺ.

عن أنس: أن فاطمة أتت أبا بكر فقالت: قد علمت الذي خلّفنا عن الصدقات أهل البيت ثم قرأت عليه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[1] إلى آخر الآية، فقال لها: بأبي وأمي أنت ووالدك وولَدُك، وعليٌّ السمع والبصر، كتاب الله وحق رسوله وحق قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله مثل الذين تقرئين، ولا يبلغ علمي فيه، أن أرى لقرابة رسول الله ﷺ هذا السهم كله من الخمس يجري بجماعته عليهم قالت: أفَلَكَ هو ولقرابتك؟ قال: لا وأنت عندي أمنية مصدقة.

فانصرفت إلى عمر، فذكرت له، كما ذكرتْ لأبي بكر. فقال لها مثل الذي راجعها به أبو بكر، فعجبت وظنت أنهما قد تذاكرا ذلك، واجتمعا عليه[2].

عدم مصداقية حديث لا نورث، الذي ذكره البخاري ومسلم وغيرهما، من خلال احتجاج السيدة فاطمة عليها السلام أبا بكر، فنحن أمام أمرين لا ثالث لهما إما أن

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ١-٢ ص٤٨٩.

نصدق السيدة فاطمة عليها السلام ونكذب مقالة أبي بكر حديث لا نورث[1]، لقول أبي بكر لفاطمة عليها السلام في احتجاجها عليه، صدق الله وصدق رسوله وصدقت ابنته[2]، حتى قالت عائشة: ما رأيت أحداً أصدق من فاطمة، غير أبيها[3].

ولعلّ الكثير لا يصدق، كيف يكذب أبو بكر على فاطمة عليها السلام ويختلق حديث لا نورث، لكي يعطي شرعية اغتصابه للخلافة، والميراث وفدك، فالذي يتجاوز حدود تعاليم السماء، من اغتصاب الخلافة، يكون الأمر أسهل عليه، من غصب الميراث وفدك وهجومه على دار السيدة فاطمة عليها السلام فكيف يُسلِّم المسلمون مقاليد أمورهم وأحكام دينهم لخلافة أبي بكر الغير شرعية، وذلك لوجود المعارضة من علي عليه السلام والعباس والزبير وبني هاشم وجمع من الصحابة إلا جلاء، وحروب (الردّة) التي نشأت من عدم إعطائهم الزكاة، وهذا دليل لا نكران عليه، على عدم شرعية خلافة أبي بكر، حتى قتل منهم مئات من الصحابة، وذلك لعدم اعترافهم بخلافته.

وكل مصادر المسلمين تذكر، أن علياً عليه السلام لم يبايع أبا بكر ستة أشهر، حتى ماتت فاطمة عليها السلام فالذي لم يبايع أبا بكر ستة أشهر، بمعنى عدم شرعية خلافته، فلو كانت خلافته شرعية، لبايعه من البداية، وقد طعن نفس أبي بكر خلافته بقوله: وأما الثلاث اللواتي وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن، فوددت أني سألته فيمن هذا الأمر فكنا لا ننازعه أهله[4].

بل طعنها عمر بن الخطاب حينما قال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله

---

(١) صحيح مسلم: ج٤ ص٢٩ ح١٧٥٨ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا نورث ما تركناه.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٣٢.

(٣) حلية الأولياء: ج٢ ص٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٤٧ - حديث السقيفة.

شرها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه[1].

وأما بيعة عمر فكانت فلتة في فلتة، الأولى عندما وصلت إليه الخلافة بالوصاية. والفلتة الثانية عندما سلم خلافته من بعده لستة أنفار على طريقته الخاصة، المخالف لكتاب الله وسنة النبي ﷺ وسيرة العقلاء، بل أنه خالف منطق العقل رغبة منه في إشباع شهواته وأهوائه.

ومقالة المغيرة لعمر بن الخطاب: وقد عرّضك - أبا بكر - لها -أي للخلافة- يوم السقيفة بدعائك إليها، ثم أنت - يا عمر - الآن تنقم وتتأسّف.

قال: ثكلتك أمك يا مغيرة، إني كنت لأعدُّك من دُهاة العرب، كأنك كنت غائباً عما هناك، إن الرجل ماكرني فماكرته، وألفاني أحذر من قطاة لما رأى شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنهم لا يريدون به بدلاً.. وقد علم وعلمتُ لو قبلت ما عرضه عليّ، لم يجب الناس إليَّ، واختبأها ضغناً عليّ في قلبه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين مع ما بدا لي من كراهة الناس لي، أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عَرْضها عليّ: لا نريد سواك يا أبا بكر أنت لها، فرددتُها إليه عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سروراً..[2]

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٣٣٨، شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٢٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٣٣ - حديث السقيفة.

باب فاطمة عليها السلام

حينما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن تُسد أبواب المسلمين الشارعة إلى المسجد إلى النبوي، إلا دار علي وفاطمة عليهما السلام أكثر المسلمون من معارضتهم للنبي ﷺ وقد وردت روايات في ذلك منها:

عن زيد أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب، إلا باب علي. فتكلم في ذلك ناس. فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد: فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكن أمرت بشيء فاتبعته»[1].

وعن ابن عباس قال: لما سد رسول الله ﷺ الأبواب الشارعة إلى المسجد إلا باب علي، ضج أصحابه من ذلك فقالوا: يا رسول الله لم سددت أبوابنا وتركت باب هذا الغلام. فقال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى أمرني بسد أبوابكم وترك باب علي، فإنما أنا متبع لما يوحى إليَّ من ربي».

عن سفيان بن عيينة بسنده قال: كان قوم عند النبي ﷺ فدخل علي عليه السلام فخرجوا، فلما خرجوا تلاوموا فقال النبي ﷺ: «ما أنا أدخلته وأخرجتكم، بل

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٢٥، ميزان الاعتدال: ج٤ ص٢٣٥ ح٨٩٧١، الصواعق المحرقة: ص١٢٤، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج٢ ص١٥٨، كنز العمال: ج١١ ح٣٢٨٧٧، ينابيع المودة: ص٩٩، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٢ ص١٦٩.

الله أدخله وأخرجكم»[1].

عن علي عليه السلام: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي وقال إن موسى عليه السلام سأله ربه أن يطهر مسجده بهارون، وإني سألت ربي أن يطهر مسجدي بك وذريتك، ثم أرسل إلى أبي بكر أن سد بابك، فاسترجع، ثم قال: سمعاً وطاعة. فسد بابه، ثم أرسل إلى عمر؛ ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب علي، ولكن الله فتح باب علي وسد أبوابكم»[2].

وفي هذا مكرمة إلهية عظيمة لعلي وفضيلة كبرى عن سائر المسلمين. فقال عمر بن الخطاب: لقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أعطي حمر النعم، قيل وما هن. قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله يحل له فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر[3].

وعن ابن عمر قال: ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لأن أكون أعطيتهن، أحبّ إلى من حمر النعم، زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته، وإعطاء الراية يوم خيبر، وسدّ الأبواب من المسجد إلا باب علي[4].

إن حديث الباب يعتبر من المسلمات عند المسلمين، والتي تشير إلى منزلة

---

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٤١ ح٣٧٣٢، مجمع الزوائد: ج٩ ص٣٧٨، بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢١، تاريخ بغداد: ج٥ ص٢٩٣ ح٢٧٩٧.

(٢) كنز العمال: ج٦ ص٤٠٨، مسند فاطمة: ص٧٩، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٢ ص١٧٢، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٢٥، الصواعق المحرقة: ص١٢٧.

(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٢٤، الرياض النظرة في مناقب العشرة: ج٢ ص١٥٨، فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج٢ ص١٦٨.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج٣ ص٢١٤.

أهل البيت عليهم السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعن أنس بن مالك قال : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بباب فاطمة عليها السلام ستة أشهر ، إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١) .

فهذه عناية من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما بعدها عناية ، فهو يقف بباب علي وفاطمة دون غيرهم من المسلمين مراراً ، ويذكرهم بالصلاة ، فضلاً على أنها رسالة إلى كافة الناس ، بأن أهله هم المعنيون بحمل أمانة الرسالة السماوية ، لأهليتهم وشمولهم بالعناية الإلهية الخاصة دون غيرهم ، وهذا متفق عليه باعتراف القوم ، فقد صرح عمر بن الخطاب في بيعته لأبي بكر : أن بيعة أبي بكر كانت فلتة ، وقى الله شرها ، فمن أعادها قتلناه .

ومقالة أبي بكر عندما بويع للخلافة قال : أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم والحديث المشهور المتواتر ، في قول عمر بن الخطاب : لولا علي لهلك عمر (٢) .

وقد أشار الله تعالى في آياته أن آتوا البيوت من أبوابها فقال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ (٣) .

فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطرق باب علي وفاطمة عليهما السلام لمدة ستة أشهر مستمرة أو أكثر من أجل أن يبين للمسلمين أهمية هذا الباب وضرورة المحافظة عليه ، وأن

---

(١) انظر مجمع الزوائد : ج٩ ص١٧١ - باب فضل أهل البيت (رضي الله عنهم) .

(٢) المستدرك على الصحيحين : ج٣ ص١٥٨ ، مجمع الزوائد : ج٩ ص١٧١ فضائل فاطمة الزهراء : ص٦٨ ، تاريخ مدينة دمشق : ج٤٢ ص١٣٦ - ١٣٧ ح ٨٥١٨ وما بعده (انظر سنن أبي داود : ٨/ ٢٧٤) مسند فاطمة : ص١٧١ ح١٧٦ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

هذه الآية الشريفة قد نزلت بحقه بصورة لا تقبل الشك، وأنها من شأن أهل بيت النبي ﷺ وهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام .

إحراق دار فاطمة عليها السلام

أحداث السقيفة كانت مؤلمة وموجعة للقلوب، ومؤامرة ضخمة الأبعاد، لهدم أركان الدين سيما ركنه المهم (الإمامة) وأدى الأمر بهم إلى إحراق دار فاطمة وعلي عليهما السلام من اجل التشبث بحطام الدنيا، لأن الملك عقيم، فكانت الخطوة الأولى في المؤامرة إحراق دار النبوة والإمامة، التي طالما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف إجلالاً لها ويسلم عليهم بقوله: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة، الصلاة الصلاة يرحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وحين قيل لعمر: إن في الدار فاطمة. قال: وإن! وقالوا: إن في البيت علي والحسن والحسين قال: وإن! وهذا يدل على قساوته وشدته! حتى أكثر المسلمون أبا بكر بتولية عمر بن الخطاب من بعده، حيث تجاوز العمل بالشورى، إذ رفضوا وصاية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وامضوا وصاية أبي بكر لعمر بن الخطاب! ومن الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر، علي والعباس والزبير وسعد بن عبادة، فأما علي والعباس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة عليها السلام حتى بعث إليهم أبو بكر، عمر بن الخطاب، ليخرجهم من بيت فاطمة عليها السلام وقال له: إن أبو فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة فقالت: يا

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا! قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[1].

وأي سلام أكثر من هذا الرعب والتهديد بإحراق بيت فاطمة عليها السلام وفي حاشية صحيح البخاري علّق عن الحديث الدكتور مصطفى ديب البغا[2]: فليس منا أي ليس على طريقتنا ولا متبعاً لسنتنا فقتال المسلمين بغير حق معصية كبيرة قد تجرُّ إلى الكفر ومن استحلها فقد كفر لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه لا أنه يقاتله أو يرعبه[3].

وذكر ابن قتيبة في كتابه: وإن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي (كرم الله وجهه) فبعث إليهم عمر. فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا؛ فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن، أو لأحرقنها على من فيها! فقيل: يا أبا حفص إن فيها فاطمة. فقال: وإن[4].

فخرجوا، فبايعوا إلا علياً. فوقفت فاطمة (رضوان الله عليها) على بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً.

فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟! فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولىً له: أذهب فادع لي علياً. قال: فذهب إلى علي عليه السلام فقال له: ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال علي عليه السلام لسريع ما

---

(١) صحيح البخاري: ج٦ ص٢٥٩١ ح٦٦٥٩.

(٢) دكتوراه في الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر، مدرّس كلية الشريعة.

(٣) حاشية صحيح البخاري: ج٦ ص٢٥٩١ ح٦٦٥٩.

(٤) العقد الفريد: ج٤ ص٢٤٢.

كذبتم على رسول الله ﷺ فرجع فأبلغ الرسالة قال: فبكى أبو بكر طويلاً فقال عمر: الثانية لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ عُدْ إليه فقل له أمير المؤمنين يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به. فرفع علي عليه السلام صوته فقال: سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له. فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة. فبكى أبو بكر طويلاً. ثم قام عمر، فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة عليها السلام فدقّوا الباب. فلما سمعت أصواتهم، نادت بأعلى صوتها يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة! فلما سمع القوم صوتها وبكاؤها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا علياً عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر. فقالوا له: بايع فقال: إن لم أفعل فمه؟ قالوا إذاً والله الذي لا اله إلا هو نضرب عنقك! قال إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله. قال عمر: أما عبد الله فنعم، وإما أخو رسوله فلا! وأبو بكر ساكت لا يتكلم. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه.

فلحق علي عليه السلام بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ (١)(٢).

تحت سطوة تهديد عمر لعلي عليه السلام والسيف على رأسه عليه السلام، بعد ترويعه وتهديده بالقتل إن لم يسلك سلك بقيد المسلمين في البيعة وحديث النبي ﷺ، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده في النار كنت له بالمرصاد حيث فضحت سرائره التي كانت غائبة عن المسلمين وأي كذبة أكبر من هذه؟ كذبه على رسول

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٠.

(٢) الإمامة والسياسة: ج١ ص١٢.

الله ﷺ إضافة إلى اقترانه للحديث مع أن الحديث النبوي في (جامع الأخبار) عن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار».

وقال رجل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟ قال: قد يكون ذلك. قال (قلت): المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك. قال (قلت): المؤمن يسرق؟ قال: قد يكون ذلك. قال (قلت): يا رسول الله المؤمن يكذب؟ قال: «لا، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[1].

وذكر المدائني بسنده أن أبا بكر أرسل إلى علي عليه السلام يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر ومعه قبس، فتلقته فاطمة عليها السلام على الباب. فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب أتراك مُحرِّقاً عليَّ بابي. فقال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[2].

وقال أبو بكر بسنده، قال: لما جلس أبو بكر على المنبر، كان علي عليه السلام والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة. فجاء عمر إليهم. فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم[3].

وقال أبو بكر: وقد روي في رواية أخرى، أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام والمقداد بن الأسود أيضاً، وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام فاتاهم عمر ليحرق عليهم البيت. فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح، فنهنهتْ من الناس.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨٦ ح١٣ و١٤.

(٢) أنساب الأشراف: ج٢ ص٢٦٨.

(٣) تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤٣، شرح النهج: ج٢ ص٥٦.

وقال أبو بكر بسنده عن الشعبي قال: سأل أبو بكر فقال: أين الزبير؟ فقيل عند علي عليه السلام وقد تقلد سيفه، فقال: قم يا عمر قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتياني بهما. فانطلقا، فدخل عمر، وقام خالد على باب البيت من خارج. فقال عمر للزبير: ما هذا السيف. فقال: نبايع علياً عليه السلام فاخترطه عمر، فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه، ثم دفعه. وقال: يا خالد دونكه، فأمسكه ثم قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر، فتلكأ واحتبس، فأخذه بيده! وقال: قم! فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه! كما دفع الزبير، فأخرجه! ورأت فاطمة ما صنع بهما فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله[1].

روى أحمد بن عبد العزيز قال: لما بويع لأبي بكر، كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي عليه السلام وهو في بيت فاطمة عليها السلام فيتشاورون ويتراجعون أمورهم. فخرج عمر، حتى دخل على فاطمة عليها السلام وقال: . . وأيم الله ليس ذاك بما نعي أن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن آمر بتحريق البيت عليهم!

فلما خرج عمر، جاءوها فقالت: تعلمون أن عمر جاءني وحلف لي بالله، أن عُدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضين لما حلف له[2].

وقد اعترف أبو بكر بفعله أمام الملأ قائلاً: أما إني لا آسي إلا على ثلاث فعلتهن وودت أني لم أفعلهن. . فأما الثلاث التي فعلتها وودت أني لم أكن

---

(١) شرح النهج: ج٢ ص٥٦ - ٥٧.

(٢) مسند فاطمة: ص٧٦ ح٣٢، شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٤٥، مسند فاطمة: ص٧٢ ح٢٩، شرح النهج: ج٢ ص٤٦، كتاب الفتوح: ج١ ص٧، مروج الذهب: ج٢ ص٣١٧ ورواه في تاريخ دمشق والطبري: ٤/ ٥٣.

فعلتها، فوددت أني لم أكن أكشف عن بيت فاطمة وتركته، ولو أُغلق على حرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قد قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين، عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً. ووددت أني إذ أتيت بالفجاءة لم اكن أحرقه أو كنت قتلته بالحديد أو أطلقته[1]، وأما الثلاث التي وددت أني أسأل رسول الله ﷺ عنهن، فإني وددت أني سألته لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه أحد، وأني سألته هل للأنصار في هذا نصيب فلا يظلموا نصيبهم، ووددت أني سألته عن العمة وبنت الأخ، فإن في نفسي منهما حاجة[2].

وقد طعن أبا بكر بخلافته للمسلمين، وعدم قناعته بذلك، حيث أسقط شرعية خلافته، فكيف يُسلِّم المسلمون بخلافته.

وندمه أنه لم يسأله من يخلفه، أي أنه شك في تسلّمه للخلافة، وهو يعلم علم اليقين أن الخلافة لعلي عليه السلام.

وندمه على كشفة لبيت فاطمة عليها السلام يشكل اعتراضاً صريحاً منه، بأنه هو الذي أمر عمر بالهجوم على الدار، حيث قال له: أئتني به يا عنف العنف.

ورتب عليه، إحراق الدار والاعتداء على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وأخذهم علياً كالأسير، أما ندمه على حرقه الفجاءة! حتى قال: (كنت قتلته بالحديد أو أطلقته!) فإما أن يستحق القتل ولا يستحقه، فإن كان يستحق القتل، فلماذا تطلقه؟ وإن كان يستحق أن يطلق، فلماذا تحكم عليه بالقتل!؟

---

(١) مجمع الزوائد: ج٥ ص٢٠٥، العقد الفريد: ج٤ ص٢٥٠ وفيه: فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا أغلقوه على الحرب.

(٢) مجمع الزوائد: ج٥ ص٢٠٦ باب كيف يدعى الإمام.

ثم إنه كان يشن الحروب ضد الصحابة بحجة الارتداد، وأطلق عليها حروب الردة، فقتلهم لمجرد أنهم منعوا الزكاة إليه! وقتل منهم المئات وسبى نساءهم وذراريهم! لأنهم رأوا فيه مغتصباً للخلافة، ولا شرعية لحكمه، لذا امتنعوا عن إعطاء الزكاة. والأصح إن حكم الارتداد يشمله هو، لاعترافه بذلك. وفي الحديث «من مات ولم يعرف أمام زمانه، مات ميتة جاهلية».

عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: «جاهلية كفر ونفاق وضلال»[1].

وقد تعرض الفقهاء حول من يشمله الارتداد. إلا أن المشكلة في الكثير من المسلمين الذين راحوا يضعون عليهم هالة التقديس، مجرد أنهم صحابة، متناسين ومتغافلين عن ممارساتهم التي كانت تخالف كتاب الله والسنة النبوية، لأن مجرد الصحبة لا تشكل امتيازاً مقدساً، ولا تترتب عليها أثراً شرعياً.

بعد إقدام القوم على صنيعهم المنكر، بإحراق دار فاطمة عليها السلام وهو بيت النبوة والإمامة، ولم يرعوا فيه حرمة الإسلام وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بأهل بيته خيراً وصية تلو وصية. وآخرها كانت في حجة الوداع، كما ذكره مسلم في صحيحه.

ومن جملة وصايا أبي بكر، إلى يزيد بن أبي سفيان، لما ولاّه الشام: إني أوصيكم بتقوى، أن لا تغلوا ولا تفسدوا ولا تطغوا ولا تعقروا بهيمة ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تهدموا بيعة ولا تقتلوا

---

(١) الأصول من الكافي: ج١ ص٣٧٧ - باب من مات وليس له إمام.

الولدان ولا الشيوخ ولا النساء[1].

لو كانت وصايا خليفة المسلمين صادقة، فلم أقدم على رعب أهل بيت رسول الله ﷺ بقوله لعمر بن الخطاب: إئتني بعلي بأعنف العنف، وأمره بحرق بيت فاطمة عليها السلام وهتكه حرمة المسجد النبوي، بإقدامه الهجوم على دار السيدة فاطمة عليها السلام، وعصرها بين الباب والحائط، حتى أسقطت جنينها المحسن، حيث فارقت الحياة بعد ستة أشهر من المعاناة ما حلّ بها! فأي قساوة أكثر من هذا!

عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى (خماً) بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: «أما بعد: أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوابه» فحث على كتاب ورغّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[2].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله «أن لله عز وجل حرمات ثلاثاً، من حفظهن حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً، حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي»[3].

وعن أبي بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة، وهو متكئ على

---

(١) كتاب الفتوح: ج٢ ص١٢١.

(٢) صحيح مسلم: ج٥ ص٢٥ ح٢٤٠٨، الصواعق المحرقة، ينابيع المودة: ص٣٢، كنز العمال: ج١ ح٨٩٨ ص١٧٨، سنن الدارمي: ج٢ ص٤٣١ كتاب فضائل القرآن.

(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٧١.

قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين. فقال: «معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد - أي الحظ - طيب المولد ولا يبغضهم، إلا شقي رديء الولادة»[1].

وعن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين. فقال: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»[2].

وعن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم».

وعن جابر قال رسول الله ﷺ: «إن لكل بني آدم عصبة ينتمون إليهم، إلا ابنتي فاطمة، فأنا وليها وعصبتها»[3].

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج٣ ص١٥٤.

(٢) تاريخ بغداد: ج٧ ص١٣٦ رقم ٣٥٨٢.

(٣) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٩٩ ح٣٨٧٠، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج٣ ص١٥٤ وفيه: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم، تاريخ مدينة دمشق: ج١٤ ص١٤٤ ح ٢٤٥٤ وفيه عدو لمن عاداكم، مسند فاطمة الزهراء: ص١٦٨ ح١٧٠ وفيه أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٦٤.

فاطمة عليها السلام عند قبر أبيها صلى الله عليه وآله

إن مأساة فاطمة عليها السلام بفقد أبيها صلى الله عليه وآله مأساة جليلة وكبيرة، فكانت تتردد على قبره بشكل مستمر، وتبث إليه همومها وحزنها وما لاقته من القوم بعده فقالت:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
وغاب مُذ غبتَ عنا الوحي والكتبُ
فليت قبلك كان الموتُ صادفنا
لما نعيت وحالت دونك الكتب

ثم أقبلت تعثر في أذيالها، وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها، ومن تواتر دمعتها، حتى دنت من قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظرت إلى الحجرة، وقع طرفها على المأذنة، أغمي عليها، فتبادرت النسوة، فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتى أفاقت. فقامت وهي تقول: يا أبتاه بقيت والهة وحيدة، وحيرانة فريدة، فقد انخمد صوتي وانقطع ظهري وتنغَّص عيشي وتكدّر دهري، فما أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي، ولا وادّاً لدمعتي، ولا معيناً لضعفي.. يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت الناس عنا معرضين..[1]

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد: ص٣٠٧.

فقال أنس: أقبلت عليّ فاطمة فقالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على وجه رسول الله ﷺ التراب. ثم بكت ونادت: يا أبتاه أجاب ربا دعاه، يا أبتاه من ربه من أدناه، يا أبتاه من ربه ناداه، يا أبتاه إلى جبريل تنعاه، يا كربتاه من الفردوس مأواه[1].

قال ابن الجوزي روي عن علي رضي الله عنه قال: لما دفن رسول الله ﷺ جاءت فاطمة فوقفت على قبره، وأخذت قبضة من تراب القبر وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائب لو أنها
صبّت على الأيام صرن لياليا[2]

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: واكرْب أباه. فقال لها: ليس على أبيك كرْب بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباه دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل تنعاه.

فلما دفن، قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب[3].

---

(١) العقد الفريد: ج٣ ص٢٣٦، مروج الذهب: ج٢ ص٣٢٠، صفوة الصفوة: ج١ ص٢٢٧ في مرض النبي ووفاته، مسند فاطمة الزهراء: ص٨٨ وح٤٤ رواه الطبراني ح١٠١٤/ ٢٢/ ٤٢٣، الكامل: ١/ ٢٥٨، تاريخ بغداد: ٦/ ١٣١، مجمع الزوائد: ٩/ ١٨٥، تذكرة الخواص: ص٢٨٥.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ص٣٣.

(٣) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٩ ح٤١٩٣، صفوة الصفوة: ج١ ص٢٢٧.

استشهاد فاطمة عليها السلام

استشهدت فاطمة عليها السلام في عمر الزهور بعد أن تجرعت الغصص والأحزان بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله فلم تعش بعد وفاته، إلا خمسة وسبعين يوماً، بسبب هجوم القوم على دارها، وحرقهم لدارها، وعصرها بين الباب والحائط، حتى أسقطوا جنينها وكسروا ضلعها.

فبدأت القصة حين قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة.

فقال أبو بكر لمولاه قنفذ: اذهب فادع لي علياً.

فذهب إلى علي وقال له عليه السلام: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله.

فقال علي عليه السلام: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة.

قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة.

فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه فقل له: أمير المؤمنين يدعوك لتبايع، فجاء قنفذ فأدى ما أمر به.

فرفع علي صوته فقال: سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له؟ فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر فمشى معه جماعة، حتى أتوا

باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت أصواتهم، نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة.. !(١)

لقد جعل رسول الله ﷺ ركنين في الإسلام؛ أحدهما هو نفس رسول الله ﷺ والآخر ابنته فاطمة عليها السلام فقد ورد عن جابر بن عبد الله، قال رسول الله ﷺ يا أبا الريحانتين عن قليل يذهب ركناك، فلما توفي رسول الله ﷺ قال علي عليه السلام: هذا أحد الركنين. فلما توفيت فاطمة عليها السلام قال: وهذا الركن الآخر(٢).

وقال علي رضي الله عنه: فلما قبض النبي ﷺ لم تبق فاطمة (رضي الله عنها) بعده إلا خمسة وسبعين يوماً، حتى ألحقها الله عز وجل به ﷺ(٣).

ولما دفنها علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) تمثل عند قبرها فقال(٤):

لكل اجتماع من خليلين فرقة
وكل الذي دون الفراق قليلُ
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد
دليل على أن لا يدوم خليلُ

وروي عنه عليه السلام أنه قال: عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام كالمناجي به

---

(١) الإمامة والسياسة: ج١ ص١٢.

(٢) تذكرة الخواص، مسند فاطمة: ص١٨١، الحلية: ج٣ ص٢١٠، ميزان الاعتدال: ج٤ ص٧٦.

(٣) مجمع الزوائد: ج٩ ص١٦٩، تاريخ مدينة دمشق: ج٣ ص١٦٢، وفيه: توفيت بعد النبي ﷺ بستة أشهر، صفوة الصفوة: ج٢ ص١٤، مسند فاطمة: ص٢٠، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٧٤، رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

(٤) تذكرة الخواص: ص٢٨٧، العقد الفريد: ج٣ ص٢٤٠، فرائد السمطين: ج٢ ص٨٧، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٦٣، راجع تاريخ دمشق: ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ج٣ ص٢٥٠.

رسول الله ﷺ عند قبره:

«السلامُ عليك يا رسول الله عنّي، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلّدي، إلا أن في التأسي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهّد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال؛ هذا ولم يطل العهد، ولم يخلّ منك الذكر، والسلام عليكما، سلام مودع لا قال ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقمْ فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين»[1].

كلمات علي عليه السلام تنطق بالحق كما قال النبي ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة»[2].

فظهر زيف التاريخ، وبدأت أوراق ذلك الزي تتكشف للناس يوماً بعد آخر، فبرزت المؤامرات التي حيكت في حياة النبي ﷺ إلى العيان بعد رحيله ﷺ وأوضح ذلك أحد الشعراء قائلاً:

فأظهروا كامن أضغانهم وحقدهم ... من بعد طول استتار

وقد تنبأ النبي ﷺ بما يحدث بعد رحيله، من الانقلاب الذي أشار القرآن

---

(١) نهج البلاغة: ص٣١٩ خطبة ٢٠٢.

(٢) مجمع الزوائد: ج٧ ص٢٣٦، الإمامة والسياسة: ج١ ص٦٨، تاريخ بغداد: ج١٤ ص٣٢١، الغدير: ج٣ ص١٧٨ راجع المصادر.

إليه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يُحال بيني وبينهم، فأقول إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي.

وقال ﷺ: «يرد على الحوض رجال من أصحابي، فيملَّؤون عنه. فأقول يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»[2].

ومقالة علي عليه السلام لرسول الله ﷺ «وفاضت بين نحري وصدري نفسك»، دليل على كذب حديث عائشة (إن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته) ذكره البخاري ومسلم[3].

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول أين أنا غداً أين أنا غداً - يريد يوم عائشة - ثم قالت عائشة: فقبضه الله، وإن

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٦ ح٦٢١١، باب في الحوض، كتاب الرفاق. صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٧ ح٦٢٤١، باب في الحوض، كتاب الرفاق.
فيملؤون: يمنعون ويطردون، ارتدوا: رجعوا عن الهداية والحق، القهقرى: الرجوع إلى الخلف وهي تأكيد للجملة قبلها، نقلاً عن صحيح البخاري.

(٣) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٦ ح٤١٨٤ و٤١٨٦. وج٣ ص١١٢٩ ح٢٩٣٣ باب ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، صفوة الصفوة ج١ ص٢٢٣.

رأسه بين نحري وسحري، وهو مستند إلى صدري[1].

وعنها قالت: فلما كان يوصي، قبضه الله بين سحري ونحري[2].

عن الأسود قال: ذكر عندي عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي. فقالت: من قاله، لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندتُه إلى صدري، فدعا بالطست فانحنث فمات. فما شعرت كيف أوصى إلى علي[3].

وعنها أيضاً، قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخيَّر، فلما نزل به ورأسه على فخذي، غشي عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى»[4].

وعن عائشة، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستنّ به، فأبدّه رسول الله ﷺ بَصَرَهُ، فأخذت السواك فقضمته وطيبته ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به، فما رأيت رسول الله ﷺ استن استناناً قط أحسن منه، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ دفع يَدَهُ أو أصبعه، ثم قال: في الرفيق الأعلى ثلاثاً، ثم قضى. وكانت تقول: مات بين حاقنتي وذاقنتي[5].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٧ ح٤١٨٥ باب مرض النبي ﷺ، صفوة الصفوة: ج٢ ص١٩.

(٢) صحيح مسلم: ج٥ ص٤٦ ح٢٤٤٣ باب فضل عائشة.

(٣) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٩ ح٤١٩٠.

(٤) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٣٣٧ ح٥٩٨٨ وص٢٣٨٧ ح٦١٤٤ باب دعاء النبي ﷺ اللهم الرفيق الأعلى.

(٥) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٣ ح٤١٧٤ باب مرض النبي ﷺ ووفاته وفيه: فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة، فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه. صحيح البخاري: ج٤ ص١٦٢٠ ح٤١٩٤ باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ، صحيح مسلم: ج٥ ص٤٧ ح٢٤٤٤، باب فضل عائشة. تاريخ بغداد: ج١٢ ص٢٩٠ راجع المصادر.

وعن عائشة أيضاً: توفي وهو بين سحري ونحري، فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله ﷺ قبض في حجري، فوضعت رأسه على الوسادة، وقمت التدم مع النساء وأضرب وجهي[1].

الأقلام المأجورة في مصانع الحديث في مجالس الملوك والسلاطين، كانت تعمل دائماً في سلب قداسة الرسول ﷺ وتشويه معالم الدين، وطمس الحقائق، مقابل حفنة دنانير وأكياس دراهم، وأشار إلى ذلك الإمام الحسين عليه السلام في أحد خطبه: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما دارت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء، قلّ الديانون»[2].

وقد غفل المسلمون خلال قرون، عن الحقائق التي طمستها أيادي العصبية والقبلية الحاكمة حتى اليوم، فتقبلوا الأمر دون تفحص وتمعن، فهل يعقل من رسول الله ﷺ وهو أديب الله لقوله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وأشرف الموجودات بأن تنزع روحه ورأسه على فخذ عائشة أو على صدرها، أليس في ذلك انتهاك لحرمة الرسول ﷺ والحديث الصحيح، بأن فاضت روحه الكريمة بين فخذي وصدر علي عليه السلام كما أشار إليه، أليس الأولى أن يقبض النبي وهو عند أهله، الذين ذكرهم القرآن الكريم في آية التطهير.

وإن الاختلاف في الحديث واضح وجلي في صحاح المسلمين، بأن روحه الزكية فاضت ورأسه على فخذي أو صدر عائشة والكذب بيّن، لماذا اختار صناع الحديث موت النبي ﷺ في بيت عائشة دون سائر أزواج النبي ﷺ مع

---

(١) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٣ ح٤١٧٤، الحاقنة ما دون الترقوة من الصدر والذاقنة طرف الحلقوم، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤١. الكامل في التاريخ: ج٢ ص٩، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٤١ سنة ١١١هـ.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص٢٣٧، بغية الطالب: ج٦ ص٢٦١٣.

نزول الآيات ي ذمها وذم حفصة؟!.

ولم تذكر عائشة اسم علي عليه السلام لما تحمل في نفسها، من ضغينة وحقد دفين لعلي عليه السلام كما نقله البخاري.

عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله واشتدّ به وجعه، استأذن أزواجه أن يُمرض في بيتي، فأذن له. فخرج وهو بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر.

قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة. فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري مَن الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت لا.

قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب[1].

---

(١) صحيح البخاري: ج٤ ص١٦١٤ ح٤١٧٨، باب مرض النبي صلى الله عليه وآله.

زيارة قبر فاطمة عليها السلام

إن زيارة قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء والشهداء عمل محبوب ومقبول شرعاً وعقلاً، كان تقديس العظماء والأبطال بعد موتهم نزعة فطرية لدى الإنسانية وسنة عقلانية سائدة في أنحاء العالم وفي جميع الأمم والشعوب على اختلاف عقائدها ومذاهبها، منذ فجر السلالات وأقدم العصور، فالشعوب تقيم التماثيل والنصب التذكاري في الساحات العامة، كنصب الجندي المجهول، رمزاً للتضحية والفداء، وكذلك الشعوب غير المسلمة، تنحت التماثيل لرجالها الصالحين والمصلحين في مراكز العواصم والمدن الكبيرة، إكراماً لهم، وتفرض ضمن البروتوكولات زيارتها من قبل الملوك والرؤساء والقادة، ووضع أكاليل الزهور على القبور والمشاهد، تعظيماً لها.

فإن حرمة الإنسان ميتاً كحرمته حياً. فقد ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ: «حرمة المسلم ميتاً كحرمته حياً سوياً»[1].

ونستنبط من هذا الحديث الشريف، أن للأموات حق الزيارة علينا، مثلما كانوا أحياءً يرزقون، وقد جُبلت البشرية على ذلك. ووردت أحاديث نبوية أخرى على زيارتهم، فالأموات ينتظرون منا الصدقة والعمل الصالح وإبراز علومهم التي ينتفع بها، وزيارتهم وقراءة الفاتحة المباركة، ترحماً على أرواحهم، وإن أقمنا ذلك أدخلنا السرور إليهم، ونكافأ على هذا العمل الصالح

---

(١) تهذيب الأحكام: ج١ ص٤١٩ ح٤٣.

بالأجر والثواب.

وفي الحديث الشريف: «إذا مات العبد ينقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به الناس، وولد صالح يدعو لأبويه».

والأمة الإسلامية تمتلك رصيداً كبيراً من عمالقة الدنيا وعظماء الرجال تمجّدهم، وتستعيد ذكرياتهم، وتقف على مراقدهم وقفة المستلهم لمعاني الخير وروح البطولة والعطاء، فإذا كانت زيارة قبور العظماء والأبطال وأضرحة الشهداء سيرة عقلانية وسنة نبوية لا تخص قوماً أو أمة، فلا يلام أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام عندما يزورون مراقد أئمتهم عليهم السلام فما بالك بفاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وزوجة علي عليه السلام وأم الحسن والحسين عليهما السلام حيث قبرها مجهولاً إلى هذا اليوم، ودفنها علي عليه السلام ليلاً لما حلّ لها من مظالم القوم، حيث أوصت علياً عليه السلام أن لا يشهد جنازتها من ظلمها.

فعند زيارتك لقبر النبي صلى الله عليه وآله في المسجد النبوي وزيارة قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام وبقية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، فإنك لا تعثر على قبر فاطمة عليها السلام حيث أوصت علياً عليه السلام أن يدفنها سراً لا جهاراً ليلاً لا نهاراً، إذا نامت العيون وهدأت الأبصار.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يزور قبر السيدة فاطمة عليها السلام كل يوم بعد ما دفنها.

قال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لما دفن علي عليه السلام فاطمة بنت رسول الله عليهما السلام كان يزور قبرها كل يوم فيبكيها، فأقبل ذات يوم، حتى انكب على قبرها وأنشأ يقول:

ما لي مررتُ على القبور مسلماً

قبر الحبيب فلم يرد جوابي

أحبيـب مـالك لا تجيـب مناديـاً

أمللـتَ بعـدي خلّـة الأحبـاب

فأجابه هاتف يقول:

قـال الحبيب وكيف لي بجوابكـم

وأنـا رهنـي جنـادل وتـراب

أكـل الـتراب محاسـني فنسـيتكم

وحجبت عـن أهلـي وعـن أترابـي

فعليكـم منـي السـلام تقطّعـت

عنـي وعنكـم خلّـة الأحبـابي[1]

(١) فرائد السمطين: ج٢ ص٨٨.

صحابة النبي ﷺ

أرسل الله تعالى أنبياءه إلى البشر، ليبلغوا رسالاته، واستلزم العصمة شرطاً من شرائط النبوة، وجعل للأنبياء عليهم السلام أوصياءً وأئمة خلفاء لهم على الناس، واشترط العصمة أيضاً في مقومات الوصي والإمام والخليفة، وأمر الناس بأن يطيعوا ويسلموا مقاليد دنياهم، إلى حكم من تجلت فيه عصمة الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [1]، وإن الإطاعة في كل شؤون الناس، وأن قضية (الحكم والخلافة) هي واحدة من أهم هذه الشؤون، فلا ينبغي لأحد الاختيار والتحديد خارج مشيئة الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [2].

والخلافة لا ريب أنها شأن إلهي خالص من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [3] كيف لنا أن نسوغ تنصيب خلفاء للمسلمين من أنفسنا خارج النص، كأن يكون بالشورى أو الانتخاب أو

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

الوصية، أن ذلك يخالف ما أمر به الله سبحانه، وإن تم ذلك من قوم فقد ضلّوا ضلالاً كبيراً، إن التشريع له مصدر أساسي واحد لا غير، هو الله سبحانه وتعالى، الذي فوّض بلطفه صلاحية لنبيه ﷺ بالأحكام والتشريع، والنبي فوّض الصلاحية للأئمة المنصوص عليهم من قبل الله تعالى بالإمامة، وهم اثنا عشر إماماً عليهم السلام. وعليه أصبحت مصادر التشريع محصورة بالله سبحانه ثم النبي ﷺ ثم الأئمة المعصومين عليهم السلام، وانتفت صلاحية التشريع عن بقية أفراد الأمة. وكل محاولة في ذلك، تشكل بدعة في الإسلام، ومشرع البدعة له مأوى في جهنم. فقد قال رسول الله ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[1].

ومن هنا نستنتج، أن مصدر التشريع ينحصر في القرآن الكريم، وهو قول الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ وأحاديث أهل بيته الأطهار عليهم السلام وأمر الناس التأسي بسنة النبي كتكليف ثابت، وما أمرهم بابتداع التشريع، حتى ولو كانوا صحابته، فقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

إن الرغبة في تأسيس سنة مقابلة لسنة النبي ﷺ بعد وفاته، تشكلت لدى بعض الصحابة، نستطيع أن نسميها (سنة الصحابة) كانت الجذر الأساس لتفرق المسلمين وتشتتهم وضياعهم، فالبعض سار عليها، فأحدثوا وبدّلوا وغيّروا حتى كان ما كان، وليس تجنياً منا اتهام بعضهم بهذا. فقد ورد في صحيحي مسلم والبخاري ارتداد الصحابة. وقوله ﷺ: «ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحْقاً سُحْقاً لمن غيّر بعدي»[3].

---

(١) الأصول من الكافي: ج١ ص٥٧ ح١٢.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٣) صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٦ ح٦٢١١، باب في الحوض ١.

وحديث آخر عن أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بينا أنا نائم، إذ زُمْرَةٌ حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هَلُمَّ فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنُهم؟ قال: إنهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زُمْرَة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلمَّ قلت أين قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النَّعَم»[1].

إن الصحابة كما تبين، لا يملكون العصمة عن الخطأ شأن الأئمة عليهم السلام لذلك إن أمر ارتدادهم وارد وحادث فعلاً، وكلمة صحابي لا تحمل صفة القداسة القاطعة، بل إنها تعني الذين صاحبوا النبي ﷺ في فترة حياتهم، وإن فيهم من تابع سيرته ﷺ وفيهم من زلقت قدمه في الفتنة، والبدعة بعد وفاته ﷺ حتى قال عمر بن الخطاب في صلاة التراويح جماعة: نعمت البدعة هذه!! في حين أن البدعة ضلالة. كما أشرنا إلى قول رسول الله ﷺ مسبقاً..

عن عمر بن الخطاب من قوله - وقد رأى اجتماع الناس في صلاة النوافل شهر رمضان -: بدعة ونعمت البدعة[2].

فاعترف بأنها بدعة وخلاف السنة، وهم يروون عن النبي ﷺ أنه قال: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[3].

---

(١) قائم: أي على الحوض، زمرة: أي جماعة. رجل: المراد الملك الموكل بهم. هلم: تعالوا. يخلص: ينجو. همل النعم: ما يترك مهملاً لا يتعهد ولا يرعى حتى يضيع ويهلك. والمعنى: لا ينجو من النار منهم إلا القليل. قال العيني: وهذا يشعر بأنهم صنفان: كفار وعصاة.
حاشية صحيح البخاري: ج٥ ص٢٤٠٧.

(٢) صحيح البخاري: ج٣/ ٥٨، موطأ مالك: ج١ ص١٤٤.

(٣) سنن أبي داوود: ج٤ ص٢٠١، سنن الدارمي: ج١/ ٤٤ و٦٩، كنز العمال: ج١ ص٢٢١، انظر الانتصار للشريف المرتضى: ص١٧١، مؤسسة النشر الإسلامي.

وأخرج البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون. فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد كان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعمت البدعة هذه!!.

لذلك كلمة صحابي المنسوبة إلى الصحابة، بإمكانها أن تنال مكانة رفيعة حسب الوضع المبتوت به لها في الانتساب كما تشير الآية الكريمة: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2]، أو ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ۝٣١ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[3]، فأصحاب الجنة وأصحاب اليمين، لهم وضع مبتوت في أمره لهم جنة ونعيم من الله تعالى..

ونفس كلمة الأصحاب، يمكن أن تأخذ وضعاً آخر ومكانة متدنية ومنزلة واطئة لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٢.

(٣) سورة الواقعة: الآيات ٢٧-٣٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٢.

وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ﴾[1].

نستنتج أن كلمة الصحابة لا تنم عن قدسية وعدالة من يتصف بها، من حيث إنه صحابي فحسب، بل الأساس هو الإيمان والعمل الصالح والإيمان برسالة النبي ﷺ وما أنزل عليه في القرآن، وإن أي انحراف عن الكتاب والسنة النبوية، يقتضي انعدام أية قدسية أو هالة تبجيل عن أيٍّ من أصحاب النبي ﷺ، فنرى إجماع كبير عند فئات واسعة من المسلمين على قداسة الصحابة، وهذا أمر يناقض الواقع حتى إن أحدهم أخبرني قائلاً: (نحن نقدس الصحابة بغض النظر عن أفعالهم، مهما عملوا، حتى لو سفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء، لأنهم صحابة النبي ﷺ).

وعلى هذا الرأي، نرى الزمخشري وهو من أفضل علمائهم، يذهب إلى جواز إمامة الفاسق والعاصي والسارق! ألا نرى مخالفة ذلك للشرع والعقل!؟

ولا ريب أن شواهداً كثيرة عن مخالفات الصحابة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وردت في كتب الصحاح وكتب الحديث الأخرى وكتب التاريخ، كأن يكون ذلك في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ﷺ، وقصة خالد بن الوليد مع بني جذيمة غنية عن التعريف، يومها بعث الرسول ﷺ بسرايا تدعوا إلى الله تعالى والتعريف بكتابه، وكانت صفة بعثهم دعاة ولم يأمرهم بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة للدعوة، ولم يبعثه مقاتلاً، فوطئ بني جذيمة، فأصاب منهم.

قال بعض أهل العلم عن رجل من بني جذيمة قوله: لما أمرنا خالد بن الوليد بوضع السلاح، قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة أنه خالد!

---

(١) سورة الحج: الآيات ٤٢-٤٤.

والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، ثم ما بعد الإسار، إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا جحدم أتريد أن تسفك دماءنا، إن الناس قد أسلموا ووضعت الحرب وآمن الناس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك، فكتّفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل مَن قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، ثم دعا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «يا علي أخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك»[1].

فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعثه رسول الله ﷺ به فودى لهم الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدى ميلغة الكلب حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا واده بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي عليه السلام حين فرغ منهم هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ فلما عاد أخبره الخبر فقال الرسول ﷺ: أصبت وأحسنت. ثم قام رسول الله ﷺ من مجلسه فاستقبل القبلة قائماً، شاهراً يديه، حتى أنه ليرى بياض ما تحت منكبيه وهو يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثلاث مرات[2].

وقصة جيش أسامة فيها، من ارتداد الصحابة، ومخالفتهم لأوامر رسول الله ﷺ ما يغنينا عن البيان، وحري بنا أن نذكرها حسبما ذكرها الرواة.

---

(١) وهذه إشارة إلى أن أفعال خالد بن الوليد من أفعال الجاهلية وسلمت الأمور إلى من هو أولى بإصلاحها وهو علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٣٤١-٣٤٢، الكامل في التاريخ: ج١ ص٦٢٠، شذرات الذهب: ج١ ص١٥.

لما مرض رسول الله ﷺ مرض الموت، دعا أسامة بن زيد بن حارثة وقال له: سرْ إلى مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش.. فلم يبق أحَد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا وكان في ذلك الجيش؛ منهم أبو بكر وعمر، فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على جلّة المهاجرين والأنصار! فغضب رسول الله ﷺ لما سمع ذلك، وخرج عاصباً رأسه فصعد المنبر وعليه قطيفة. فقال: «أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير أسامة! لئن طعنتم في تأميري أسامة، فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وابنه من بعده لخليق بها، وأنهما لمن أحبّ الناس إليّ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم».. فأمره بالخروج، وتعجيل النفوذ وقال: «اغْدُ على بركة الله» وجعل يقول: «انفذوا بعث أسامة» ويكرر ذلك[1].

وذكرها ابن الأثير في تاريخه: «وكان قد ضرب البعث على أهل المدينة ومن حولها وفيهم عمر بن الخطاب. فتوفي النبي ﷺ ولم يسر الجيش، وارتدت العرب إما عامة أو خاصة من كل قبيلة، وظهر النفاق واشرأبّت يهود والنصرانية، وبقي المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة، لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم.. قال عمر لأبي بكر: إن الأنصار تطلب إليك، أن تولي أمرهم رجلاً، أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً، وأخذ بلحية عمر. وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أعزله»[2].

ذلك من بعض أدلة ما يوضح ارتداد الصحابة بعد رحيل النبي ﷺ بشكل واضح وجلي، أدى إلى ارتداد الكثير من العرب بعد إسلامهم حتى إذا سيّر أبو بكر جيش أسامة، ارتدّت العرب وتضرمت الأرض ناراً وارتدت كل قبيلة عامة أو

---

(١) شرح النهج: ج١ ص١٥٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٢ ص١٦.

خاصة[1]، على الرغم من أهمية الوضع وتشديد الرسول ﷺ على الأمر، فإنه كان يقول ويكرر أنفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة[2]، فشملت اللعنة الكثير من الصحابة الذين تخلفوا وقتها، فأين تكمن القداسة؟!

قال ابن هشام في سيرته: إن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة، وأخذ الوجع يشتد به. فخرج عاصباً رأسه. وجعل يحثهم على الخروج ثم قال: «أيها الناس، إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ثم قال: أيها الناس لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض».

ألم تكن نبوءة رسول الله صادقة؟ بلى كانت صادقة وهو بعد لم يدفن في واقعة سقيفة بني ساعدة، وحروب الردة، ومعارك الجمل وصفين والنهروان.

كما أن الكثير من الصحابة، لا يتقيد بأقوال رسول الله في قضايا رئيسية ومهمة في الرسالة، منها قضية علي بن أبي طالب فلطالما أكد رسول الله ﷺ للمسلمين، منزلة علي من الله ومنه، إلاّ أن غالبيتهم ينسون أو يتعمدون نسيان ذلك، ففي إحدى غزوات المسلمين، أرسل الرسول ﷺ جيشاً واستعمل عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأصابوا غنائماً، ومن ضمنها أصاب علي جارية، فأنكروا عليه، فعقد العزم أربعة منهم على إخبار رسول الله ﷺ بأمر علي وما صنع، وكان المسلمون إذا رجعوا من سفرٍ بدؤوا برسول الله ﷺ يسلمون عليه، ثم ينصرفون إلى رحالهم، فلما عاد الجيش المذكور، قدموا على

---

(١) سيرة المصطفى: ص٧٠٦.

(٢) نفس المصدر: ص٧٠٧.

رسول الله ﷺ وسلموا عليه. فقام أحد الأربعة فقال: (يا رسول الله إن علياً صنع كذا وكذا..) فأعرض عنه رسول الله، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه الرسول ﷺ وقام الثالث وقال ما قالا، وأعرض عنه الرسول ﷺ ثم قام رابعهم فقال نفس القول فأقبل رسول الله ﷺ والغضب يلوح في وجهه فقال: «ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي، إن علياً مني وأنا من علي، وهو ولي كل مؤمن بعدي»[1].

كما إن شواهداً كثيرة تدل على انحراف كثير من الصحابة، فهاهم يُكفِّر بعضهم بعضاً، إضافة إلى الخروج عن طاعة ولي الأمر، كما في حالة طلحة والزبير وعائشة، حيث أعلنوا حربهم على خليفة المسلمين، وألّبوا الناس ضده، بمعونة صحابة وتابعين آخرين، ويشاطرهم معاوية في نفس الاتجاه، في دق ناقوس الحرب ضد الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام ومعركة صفين وما تلاها من تطورات، تؤكد صحة ما ذهبنا إليه، والخوارج يأتون بعد ذلك وهم من صحابة النبي ﷺ الذين تمردوا وخرجوا لقتال علي عليه السلام، وتفاصيل هذا في كتب التاريخ والسير، كما أننا نهتدي بكتاب الله في متابعتنا لموضوع الصحابة، فالقرآن الكريم تضمن آيات كثيرة فيه ذماً للصحابة، حتى أن سورة كاملة في القرآن، نزلت باسم المنافقين ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾.

---

(١) الرياض النضرة: ج٢ ص١٢٩، ينابيع المودة: ص٢٧٩، الصواعق المحرقة: ص١٢٤.

نستنتج من الآية أن هناك كفراً بعد إيمان، ومَن هم الذين وصفتهم الآية؟ أليس هم من بعض صحابة النبي ﷺ؟! إن الإقرار بعدالة الصحابة كل الصحابة، هي امتداد للمؤامرات التي بدأت أول الرسالة كما أشرنا إليها، فإن اغتصاب الحق من أهله والإقدام على حرق بيت علي وفاطمة عليها السلام ونصب العداء لهم ولآلهم، وشن الحروب الدامية عليه وعلى أصحابه يشكل وجه العملة الأول ووجهها الثاني هو تبرير هذه الأفعال من قبل الآخرين. . كما تصرح الأحاديث الموضوعة، بأنه لا يحق لأحد من المسلمين النيل من أحد من الصحابة، حتى وإن أخطأ أو أقدم على قتل صحابي مثله أو جاء ببدعة، كما في أمر عمر بن الخطاب، حيث قال: نعمت البدعة، لما جمع المصلين بإمام واحد في صلاة التراويح، وخروج كثير منهم على إمام زمانهم. والرسول ﷺ يقول: من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية.

هل يُشفع لأحد إذا خالف جوهر الرسالة، بأنه من صحابة رسول الله ﷺ وزادوا من وسائل التبرير لأخطاء مثل هؤلاء الصحابة، أن وضعوا حديثاً، ونسبوه إلى النبي ﷺ واعتبروه قاعدة عمل في الاجتهاد. فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ثم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر[1]، لذلك إن كل الصحابة والمسلمين الذين قَتَلوا وَسَمّوا وَعَذَّبوا وخالفوا، فهم مأجورون، معاوية بقتله علي عليه السلام وسمّه للحسن عليه السلام وقتله الصحابة الأخيار، فإنه له أجره في كل هذا، أين هذا الهراء من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ

(١) سنن النسائي: ج٨ ص٢٢٣، سنن الدارقطني: ج٤ ص٢٠٤، فيض القدير: ج٤ ص٥٣٨، مجمع الزوائد: ج٤ ص١٩٥.

وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [1] .

ومن آيات الله الواضحة في ذم بعضهم أي بعض الصحابة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [2] ، وإن هذه الشجرة الملعونة ، ما هي إلا تشكيل بشري من جسد الصحابة ، وكان المقصود به بني أمية .

فمن أين تأتي قداسة الصحابة وعدالتهم ، والحال هكذا كما أسلفنا ، وإن كان الأمر أي الإقرار بعدالة كافة الصحابة يراد منه هدف ، فإنما هو طمس معالم الدين الحنيف ، والمساس بقدسية وعدالة رسول الله ﷺ وتقريب الصحابة من منزلته ، إن بعض الصحابة بل كثير منهم لا يرتقي إلى مستوى مسلمي اليوم ، فالصحابة رغم وجودهم مع رسول الله ﷺ وعاشوا معه ، لكنهم أتوا بما أتوا به ، وبدلوا الإيمان بالكفر ، ومسلمي اليوم ، على رغم المسافة الفاصلة بينهم وبين رسول الله ﷺ زمنياً ، يتصفون بإيمانهم العميق ولم يبدلوا الإيمان بالكفر .

إن فيهم من يشك في منزلة رسول الله ﷺ وآل بيته عليهم السلام ويقدم عليها منزلة الآخرين ، مثل الذي يعتبر الحسين عليه السلام خارجاً عن طاعة خليفة المسلمين ، الفاسق وشارب الخمر يزيد بن معاوية .

لا ينبغي لنا أن نتوجه إلى الله تعالى بطلب الرضا عن معظم الصحابة ، وكان الله غاضباً عليهم من أفعالهم ، ولعن قسماً منهم جهاراً في آيات عديدة من القرآن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٣ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٦٠ .

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1]، فكيف نفسر إقدام الناس على حرق بيت رسول الله ﷺ بعد وفاته، وكان فيه علي وفاطمة عليهما السلام ألم يقل رسول الله فيهما: من آذاهما فقد آذاني، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله، ومن آذى الله ماذا ينتظر؟! هل ينتظر الرحمة والمغفرة، وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ آذى شعرةً من علي فقد آذاني، ومن سبّ علياً فقد سبني» ونقل البخاري، إن فاطمة غضبت على أبي بكر غضباً شديداً، حينما منعها من حقها في فدك والإرث[2].

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بمجاهدتهم وقتالهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[4]، ويشكلون الغالبية العظمى من صحابة النبي ﷺ.

وحديث الدواة أشهر من أن يخفى، حين دعا رسول الله بالكتف والدواة، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

عن ابن عباس قال: لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ: «هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده» فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

(٢) ذكرنا مصادر الأحاديث في فصل (فاطمة عليها السلام والميراث).

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٣.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٠١.

الله ﷺ كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «قوموا»[1].

وعن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه، حتى رأيت على خدّيه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسول الله ﷺ: «أئتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة). أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً».

فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر!![2]

وقال ابن عباس: يوم الخميس! وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بلّ دَمْعُهُ الحصى. فقلت: يا ابن عباس وما يوم الخميس! قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه. فقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تَضلُّوا بعدي» فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع. وقالوا: ما شأنُهُ أهَجَرَ استفْهِمُوُه. قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير..»[3].

قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم[4].

ماذا نستنتج من هذا، غير طعن الصحابة برسول الله ﷺ وبسنته النبوية، فهل للصحابة قدسية أم لزوم التبرؤ منهم، حيث وضع الله لنا باباً في الفقه الإسلامي هو باب (التبري) مستنبطاً من الأحاديث النبوية الشريفة، وهو أحد فروع الدين العشرة ومن أنكرها، أنكر ضروريات الدين.

---

(١) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٥ ح١٦٣٢ باب الوقف، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٣٦.

(٢) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٥ ح١٦٣٢ باب الوقف، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٣٦.

(٣) صحيح مسلم: ج٣ ص٤٥٤ ح١٦٣٢ باب الوقف، الكامل في التاريخ: ج٢ ص٧.

(٤) صحيح مسلم: ج٢ ص٤٥٥ باب الوقف.

والقرآن الكريم يشير إلى مخالفة الأصحاب لأنبيائهم، وتكذيبهم وقتلهم، كما في قوم موسى عليه السلام حينما ارتدوا وانقلبوا على أعقابهم، بعبادتهم العجل، حيث قالوا لموسى عليه السلام: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1].

كما إن عمر طعن في خلافة أبي بكر بعد بيعته له قائلاً: أيها الناس إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله شرها، فمن دعاكم إلى مثلها، فاقتلوه[2].

وقال عمر: أنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً، فلا يغرنّ امرءً أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فتنة، فقد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها[3].

فأصبح المسلمون اليوم ضحية المؤامرات الأولى التي رسمها بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتم حبكتها سياسة بني أمية، التي عمدت إلى إماتة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرقوا آلاف الأحاديث النبوية الشريفة بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم لا لسبب، إلا كونها تشير إلى مكامن الحق وأفضلية علي عليه السلام وفضائله هو وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ووضعوا في محلها، أحاديثاً مختلقة وكاذبة، تمجد أعداء أهل البيت عليهم السلام مثل حديث (أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم).

إن المسلمين اليوم على كاهلهم، مهمة جليلة، وهي إماطة اللثام عن الصمت، إزاء الحقيقة الساطعة، وبيانها بأن يخلعوا الدين المتوارث المليء بالأخطاء والدس والتشويه، وأخذ الدين الحق إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

(٢) شرح النهج: ج٢ ص٢٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ج٢ ص١١.

المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- نهج البلاغة: الدكتور صبحي الصالح.

٣-صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري م/ ٢٥٦هـ.

٤- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري م/ ٢٦١هـ، ط/ بيروت - مؤسسة عز الدين.

٥- سنن الترمذي: لابن سورة م/ ٢٩٧، الناشر المكتبة الإسلامية.

٦- فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام: لابن شاهين م/ ٣٨٥هـ.

٧- المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري م/ ٣٧٣هـ ط/ بيروت - دار المعرفة.

٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: م/ ٤٣٠هـ، ط/ بيروت - دار الكتب العلمية.

٩- تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر م/ ٥٧١هـ ط/ بيروت - دار الفكر.

١٠- الصواعق المحرقة: لابن حجر الهيثمي م/ ٩٧٤هـ.

١١- صفوة الصفوة: لابن الجوزي م/ ٥٩٧هـ ط/ بيروت دار المعرفة.

١٢- تذكرة الخواص: لابن الجوزي م/ ٦٥٤هـ، ط/ بيروت - مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

١٣- سير أعلام النبلاء: للذهبي م/ ٧٤٨هـ ط/ بيروت - دار الفكر.

١٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثمي م/ ٨٠٧هـ، ط/ بيروت - مؤسسة المعارف.
١٥- مسند فاطمة الزهراء: لجلال الدين السيوطي م/ ٩١١هـ.
١٦- كتاب الفتوح: لابن أعثم م/ ٩٢٦هـ.
١٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للبرهان فوري م/ ٩٧٥هـ.
١٨- الرياض النضرة من مناقب العشرة: للمحب الطبري ط/ بيروت - دار الكتب العلمية.
١٩- الطبقات الكبرى: لابن سعد ط/ بيروت - دار صادر.
٢٠- الإتحاف بحب الأشراف: للشبراوي، منشورات الرضي.
٢١- التفسير الكبير: للفخر الرازي، الناشر دار الكتب العلمية.
٢٢- أنساب الأشراف: للبلاذري م/ ٢٧٩هـ، ط/ بيروت - دار الفكر.
٢٣- تاريخ الطبري: لابن جرير ط/ بيروت - مؤسسة الأعلمي.
٢٤- الكامل في التاريخ: لابن الأثير م/ ٦٣٠هـ، ط/ بيروت - دار إحياء التراث العربي.
٢٥- الإمامة والسياسة: المعروف بتاريخ الخلفاء م/ ٢٧٦هـ، ط/ بيروت - دار المعرفة.
٢٦- سنن الدارمي: لابن بهرام الدارمي م/ ٢٥٥هـ، ط/ بيروت - دار الفكر.
٢٧- السنن الكبرى: للبيهقي م/ ٤٥٨هـ، ط/ بيروت - دار المعرفة.
٢٨- سنن الدارقطني: للدرقطني م/ ٣٨٥هـ، ط/ بيروت - دار المعرفة.
٢٩- العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي م/ ط/ بيروت - دار الكتاب العربي.
٣٠- فرائد السمطين: للجويني م/ ٧٣٠هـ، ط/ بيروت - مؤسسة المحمودي.

٣١- الغدير في الكتاب والسنة والأدب: للأميني، ط/ بيروت - دار الكتاب العربي.
٣٢- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي م/ ٤٦٣هـ، ط/ بيروت - دار الفكر.
٣٣- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: للحاكم الحسكاني، ط/ بيروت - مؤسسة الأعلمي.
٣٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة: للجزري م/ ٦٣٠هـ، ط/ بيروت - دار الكتب العلمية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٧
شخصية فاطمة عليها السلام	١٣
فاطمة عليها السلام في القرآن	١٩
المودّة في القربى	٣٣
الفرقة الناجية	٤١
فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين	٥٧
تسبيحة فاطمة عليها السلام	٦٣
فاطمة عليها السلام في المحشر	٦٧
شبيهة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم	٧١
بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٧٧
أم المؤمنين خديجة عليها السلام	٨٩
أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٩٥
من هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	١٠٥
زواج فاطمة عليها السلام	١١٥

الضحية الأولى ١٢٩
فاطمة عليها السلام والميراث ١٣٧
باب فاطمة عليها السلام ١٥٧
إحراق دار فاطمة عليها السلام ١٦٣
فاطمة عليها السلام عند قبر أبيها صلى الله عليه وآله ١٧٥
استشهاد فاطمة عليها السلام ١٧٩
زيارة قبر فاطمة عليها السلام ١٨٩
صحابة النبي صلى الله عليه وآله ١٩٥
الفهرس ٢١٥

الطبعة الثانية
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م